

الحساب الصحيح من ببيان الحكم الرشيد

بحث تفصيلي في بيان علم الحساب وأهميته في نصره الحق وإقامة الميزان

تأليف

زكريا يوسف محمد أبوقرين الطرابلسي

قال الشافعي رحمه الله:

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ
لَعَلِّي أَنْ أُنَالَ بِهِمْ شَفَاعَهُ
وَأَكْرَهُ مِنْ تِجَارَتِهِ الْمَعَاصِي
وَلَوْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةِ

المحتويات

7	1 مقدمة
11	2 الميزان الكوني والميزان الشرعي
11	2.1 المقدمة
12	2.2 الميزان الكوني
14	2.3 الميزان الشرعي
16	2.4 الإرادة الكونية والإرادة الشرعية
21	2.5 الأصل في هذا الكون استقراره وثباته وتوازنه وبركته
24	2.6 الإخلال بالميزان الشرعي سبب للإخلال بالميزان الكوني
26	2.7 أقسام الميزان الكوني
28	2.8 أقسام الميزان الشرعي
30	2.9 الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب

32	2.10 مكانة أهل العلم الشرعي
33	2.11 حال الأنبياء مع الميزان الشرعي
36	2.12 حال الأمم مع الميزان
40	2.13 الغاية من علم الحساب
42	2.14 الحساب الصحيح من القسط
42	2.15 الجهل بالحساب من الأمية
43	2.16 الحساب الصحيح يبنى على الوزن
46	2.17 أمثلة حسابية من القرآن والسنة
46	2.17.1 مكوث أهل الكهف
47	2.17.2 مكوث الوحي من عيسى عليه السلام إلى محمد ﷺ
48	2.17.3 عدد ساعات اليوم واللييلة
49	2.17.4 نسبية الوقت في القرآن
52	2.17.5 كتب المقادير الخلائق
52	2.17.6 ظاهرة الغلاف الجوي
52	2.17.7 ظاهرة تعاقب الليل والنهار
53	2.17.8 ظاهرة توسع الكون
54	2.17.9 ظاهرة المجال المغنطيسي
55	3 الحكم الرشيد
55	3.1 مقدمة

56	3.2	أركان الحكم الرشيد
59	3.3	الحكم الرشيد في زمن الصحابة
60	3.4	الحساب في زمن الحكم الرشيد
65	3.5	عودة الحكم الرشيد في آخر الزمان
65	3.6	معادلات
66	3.7	نص الفصل الأول - الصفحة الثانية
67	3.8	نص الفصل الأول - الصفحة الثالثة
69	4	ميزان الله
69	4.1	مقدمة
69	4.2	فضل الميزان
71	5	التفكر في آيات الله الكونية
71	5.1	مقدمة
71	5.2	التفكر في آيات الله الكونية
75	6	الحساب الكوني
75	6.1	مقدمة
76	6.2	جداول
77	6.3	مراجع باستخدام BibTeX
78	6.4	نص الفصل الثاني - الصفحة الثانية

6.5 نص الفصل الثاني - الصفحة الثالثة 79

7 الذكاء الإصطناعي 81

7.1 مقدمة 81

7.2 المعرفة والوعي والإدراك 81

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز العليم فائق الحب والنوى خلق كل شئ بقدر معلوم فقدره تقديرا. فائق الإصباح وجعل الليل سكا والشمس والقمر حسبانا فقدر للقمر منازل وجعل الشمس تجري لمستقر لها وكل في فلك يسبحون. لا إله إلا هو وحده لا شريك له إيماننا بروبوئته وتسليما وإقرارا بألوهيته وتصديقا بأسمائه وصفاته على الوجه الذي يحب ويرضى من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل. بعث الرسل بالحق والميزان مبشرين ومنذرين وليبينوا للناس أمور دينهم ودنياهم ومن أجلها إقامة التوحيد بإفراده سبحانه وحده بالعبادة بالطريقة التي ارتضاها وإقامة الميزان الشرعي بالقسط والعدل بين الناس. ومن رحمته أنه أرسل محمدا ﷺ خاتما للنبيين وأنزل عليه القرآن هدى وبشرى للمبتقين،
أما بعد:

هذا كتاب ألفته لشرح علم الحساب في دقه وجليله سالكا بذلك مسلك أهل الأدب في فنون ووجوه علم الرياضيات والعلوم الطبيعية كالفيزياء وعلوم الحاسب كعلوم الآلة والذكاء الاصطناعي وما يمكن حسابه مصحوبا بشرح ما تيسر من الأمور الدينية المهمة في العقيدة والتفسير لبيان أهمية

الحساب في الحكم الرشيد متبعا في ذلك ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد ﷺ وسبيل المؤمنين من سلف هذه الأمة وعلماءها.

سميت هذا الكتاب: "الحساب الصحيح من بنیان الحكم الرشيد". فالحساب هو وسيلة يحتاجها الناس لغايات عديدة منها ما هو فرض، ومنها ما هو نافع، ومنها ما هو بخلاف ذلك. فالحساب هو مفتاح العلوم الكونية وهو السبيل لفهمها وبه تكشف العديد من حقائق وأسرار هذا الكون. فإن كانت الغاية من هذا الحساب هي منفعة الناس بالعموم في أمور دينهم ودنياهم وإقامة الميزان الشرعي الذي أمر الله به بالقسط والعدل كان هذا الحساب صحيحا وكان من بنیان الحكم الرشيد وكان سببا في الزيادة في الإيمان وإقامة العدل بين الناس وسبيلا للتطور العلمي والحضاري وقوة في دحر الأعداء ونشر الحق ونصرتة.

اسئل الله العلي العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يبارك فيه ويجعله سببا لعودة أمة الإسلام إلى الطريق المستقيم وأن يجعل دعوتنا دعوة الراشدين في العلم كما في قوله تعالى: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ آل عمران. وأن يجعل دعائنا كدعاء نبينا ﷺ كما جاء عن عائشة أم المؤمنين أن النبي ﷺ كان إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (صحيح مسلم). وكما جاء عن عبدالله بن عمر أن نبينا ﷺ قَلَّمَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو بِهِؤَلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُمَلِّغُنَا بِهِ جَنَّاتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُوْهُنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا،

وَقَوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا ، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلَا
تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا
(صحيح الترمذي).

الميزان الكوني والميزان الشرعي

2.1 المقدمة

علم الحساب من العلوم التي تدرك بالعقل والفطرة وقد يكون هو العلم الوحيد الذي يكاد لا يختلف عليه البشر بكافة أجناسهم وألوانهم وبالأخص لمن عرف هذا العلم وتمعن فيه صدقا. وذلك لأن الله جل جلاله خلق كل شيء بقدر معلوم ووضع الميزان الكوني فجعل هذا الكون موزونا ومتناسقا سبحانه. ومن فضله ومنه علي الناس أنه أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب بالحق والميزان الشرعي. ومن حكمته أنه سبحانه فطر الناس على فهم الميزانين وجعل لهم كل ما يحتاجونه من عقل وسمع وبصر. فجعل سبحانه آياته الكونية دليلا على الميزان الكوني وآياته الشرعية دليلا على الميزان الشرعي. وأرشد سبحانه إلى التأمل في آياته الكونية لتعلم العدد والحساب وهذا لحكمته سبحانه فالعدد والحساب يدرك بالعقل والفطرة ولهذا اكتفى سبحانه بالدلالة عليه. أما الميزان الشرعي فهو لا يدرك بالعقل والفطرة فقط وإنما يدرك بالوحي المنزل من عنده سبحانه. والله جل جلاله تكفل بإقامة الميزان الكوني وأرسل الرسل وأنزل الكتب وفرض على الناس إقامة الميزان الشرعي. ولما كان الحساب

هو الوسيلة لمعرفة الحقائق وضبطها والطريق لإقامة الميزان الشرعي وجب النظر والبحث فيه وتعلمه من آيات الله الكونية لفهمها وتعلم الميزان الكوني لما في ذلك من مصالح دينية ودنيوية كما أرشد سبحانه في كتابه العظيم في قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ يونس. وفي قوله تعالى: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ الإسراء.

2.2 الميزان الكوني

جعل الله جل جلاله الميزان في آياته الكونية لحكمته وعدله سبحانه. ولهذا فإن الميزان الكوني أمره عظيم عند الله فعن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً، سَخَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ - وَقَالَ - أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِيضْ مَا فِي يَدِهِ - وَقَالَ - عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ" (صحيح البخاري). وهذا فيه أن الميزان الكوني بيده سبحانه فهو قائم عليه بالقسط والعدل لا تأخذه في ذلك سنة ولا نوم، ولهذا كانت آية الكرسي أعظم آية فقد قال سبحانه: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ الْبَقَرَةُ. وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَمْسٍ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَبْغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ. (رواه مسلم وصححه الألباني). وهذا فيه أن الله عز وجل كامل في صفاته لا يلحقه نقص وهذا لازم لإقامة الوجود إذ يتعذر على غيره إقامة الميزان الكوني كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث. وقد جاء في

تفسير ابن كثير أن قوله : (لا تأخذه سنة ولا نوم) أي : لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية ، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم ، فقوله : (لا تأخذه) أي : لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس ولهذا قال : (ولا نوم) لأنه أقوى من السنة ، [٠] وقوله : (ولا يثوده حفظهما) أي : لا يثقله ولا يكرهه حفظ السماوات والأرض ومن فيهما ومن بينهما ، بل ذلك سهل عليه يسير لديه وهو القائم على كل نفس بما كسبت ، الرقيب على جميع الأشياء ، فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء والأشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه ، محتاجة فقيرة وهو الغني الحميد الفعال لما يريد ، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . وهو القاهر لكل شيء الحسيب على كل شيء الرقيب العلي العظيم لا إله غيره ولا رب سواه [هـ].

فالميزان الكوني قد تكفل به سبحانه وهو دليل على عظمته وقدرته إذ يتعذر على غيره العيش من دونه فضلا عن إقامته، ومن ذلك أن الله عدل في قضاءه ومشيئته وحليم في تدبيره والدليل على هذا قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكُنَّاهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ فاطر. فهذا دليل على وحدانيته سبحانه بالملك والتدبير، فالأدلية العقلية والشرعية دلت على وحدانيته سبحانه ومن ذلك أنه جعل هذا الكون موزونا ومتناسقا بإرادته الكونية لا يشاركه في ذلك أحد كما في قوله تعالى: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ الأنبياء. وقد جاء في تفسير السعدي في شرح هذه الآيات أن العالم العلوي والسفلي، على ما يرى، في أكل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة، ولا معارضة، فدل ذلك، على أن مديره واحد، وربّه واحد، وإلهه واحد، فلو كان له مديران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت أركانه فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا

أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معاً، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل على عجز الآخر، وعدم اقتداره واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور، غير ممكن، فإذا يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير ممانع ولا مدافع، هو الله الواحد القهار، ولهذا ذكر الله دليل التمانع في قوله: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ [هـ].

2.3 الميزان الشرعي

ومن حكمته سبحانه وتعالى أنه تكفل بإقامة الميزان الكوني وفرض على المكلفين من الجن والإنس إقامة الميزان الشرعي كما في قوله: وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ الرحمن. وقد جاء في تفسير السعدي أن معنى ووضع الله الميزان أي: العدل بين العباد، في الأقوال والأفعال، وليس المراد به الميزان المعروف وحده، بل هو كما ذكرنا، يدخل فيه الميزان المعروف، والميكال الذي تكال به الأشياء والمقادير، والمساحات التي تضبط بها المجهولات، والحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات، ويقام بها العدل بينهم [هـ]. وهذا بالتأكيد يشمل الحساب والذي هو أيضاً صورة من صور الميزان. وكل هذا فيه أن الله عز وجل فرض على المكلفين من الجن والإنس والجن إقامة الميزان الشرعي في قوله تعالى "ألا تطفوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان". وفيه أيضاً أن الله عز وجل جعل العدل في آياته الشرعية كما في آياته الكونية وهذا دليل على حكمته وعدله وكأله سبحانه. فإن المقصود والمراد من إقامة الميزان بالجملة هي إقامة الميزان الشرعي وهو العدل في جميع الأقوال والأفعال وهذا يشمل العبادات التي

يجبها الله ويرضاها والتي أمر الله عباده بها عن طريق الرسل والكتب ومن ذلك إقامة الميزان والكيل بالقسط والصدق في القول والعمل ومنه بلا شك الحساب الصحيح. وبهذا يتبين أن الميزان الشرعي، حاله كحال الحق، هو من الأمانة في قوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ الأحزاب. وفي تفسير ابن كثير: قال العوفي عن ابن عباس يعني بالأمانة الطاعة [٥]. وقال قتادة الأمانة الدين والفرائض والحدود [هـ]. وهو من الميثاق الذي ذكره الله في قوله: وَادْكُرُوا اللَّهَ عَالِمَكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ المائدة. يقول السعدي في تفسيره رحمه الله: وَ مِيثَاقُهُ أَي: وَادْكُرُوا مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ أَي: عهده الذي أخذه عليكم. وليس المراد بذلك أنهم لفظوا ونطقوا بالعهد والميثاق، وإنما المراد بذلك أنهم بإيمانهم بالله ورسوله قد التزموا طاعتها، ولهذا قال: إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا أَي: سمعنا ما دعوتنا به من آياتك القرآنية والكونية، سمع فهم وإذعان واتباع. وأطعنا ما أمرتنا به بالامتثال، وما نهيتنا عنه بالاجتناب. وهذا شامل لجميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة. وأن المؤمنين يذكرون في ذلك عهد الله وميثاقه عليهم، وتكون منهم على بال، ويحرصون على أداء ما أمرُوا به كاملاً غير ناقص. وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَي: بما تتطوي عليه من الأفكار والأسرار والخواطر. فاحذروا أن يطلع من قلوبكم على أمر لا يرضاه، أو يصدر منكم ما يكرهه، واعملوا قلوبكم بمعرفته ومحبته والنصح لعباده. فإنكم -إن كنتم كذلك- غفر لكم السيئات، وضاعف لكم الحسنات، لعل به بصلاح قلوبكم [هـ].

2.4 الإرادة الكونية والإرادة الشرعية

قرر أهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم وبناء على الأدلة والبراهين الواضحة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما يوافق العقل والنقل، أن الله جل جلاله له أرادتان وهما الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، فالإرادة الكونية هي ما تعلق بمشيئته سبحانه والإرادة الشرعية هي ما تعلق بحجته ورضاه. فإرادة الله الكونية نافذة كما في قوله تعالى: **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾** يس. وأما الإرادة الشرعية فهي إرادة بيان لما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال كما في قوله تعالى: **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾** **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾** **يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾** النساء.

ولما كان الله عز وجل فعال لما يريد كما في قوله تعالى: **فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾** النحل. كان قضاءه تابعا لإرادته أي سبحانه له كذلك قضاء كوني وقضاء شرعي. فالقضاء الكوني هو ما أراده الله كونا فشاء أن يكون فكان بعزته وعلمه وقدرته سبحانه كما في قوله تعالى في هذه الآيات: **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾** البقرة. وأما قضاءه الشرعي فهو ما أراده الله شرعا فأمر الله عباده به مثل قوله تعالى: **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَقِ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾** الإسراء. فلو كان هذا قضاء كونيا لكان الناس أمة واحدة على التوحيد ولكن الله نفى ذلك بقضائه الكوني أي بمشيئته الكونية كما في قوله تعالى: **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَلَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾** النحل. ومن ذلك أيضا قوله تعالى:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ^ق وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ الأحزاب. فهذا أيضا من القضاء الشرعي ووجه ذلك أنه سبحانه ألزمهم بإتباع أمره الشرعي لأن ذلك من مقتضيات الإيمان ولهذا جاء التحذير في نهاية الآية لمن خالف وعصى أمر الله ورسوله، فلو كان هذا قضاء كونيا لكان ما أَرَادَهُ اللهُ ولم يسع لأحد أن يختار شيئا من ذلك حيث أن أمر الله الكوني نافذ لا محالة.

وكذلك حكم الله تابعا لإرادته وله سبحانه الحكم الكوني وهو تابع لأرادته الكونية والحكم الشرعي وهو تابع لإرادته الشرعية كما في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ ^ج أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ^ق إِنَّ اللَّهَ يُحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ المائدة، وهذا في الحكم الشرعي كما دل سياق الآية. وقوله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ ^ج لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ الرعد. ويدخل في هذا حكمه الشرعي والقدري (أي الكوني) والجزائي كما جاء في تفسير السعدي رحمه الله.

فحكم الله وقضائه وأمره الكوني نافذ وماض بإرادته الكونية وبما شاء وهو عدل في ذلك لا يشركه فيه غيره سبحانه كما قال تعالى: وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ^ط وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ^ق إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ غافر. وقد جاء في تفسير ابن كثير أن قوله: (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ) أي: يحكم بالعدل، وقوله: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) أي: من الأصنام والأوثان والأنداد، (لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ) أي: لا يملكون شيئا ولا يحكمون بشيء [هـ]. وكما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك» (أخرجه أحمد وصححه الألباني). وكما أن الله عدل في إرادته الكونية فهو أيضا عدل في إرادته الشرعية. وبهذا يكون الميزان الكوني تابعا لإرادة الله الكونية والميزان الشرعي تابعا لإرادة الله الشرعية. ومن صفات الله أنه عدل في إرادته الكونية والشرعية، وبهذا

يكون العدل مرادفا للميزان، فيكون الميزان الكوني هو العدل في إرادة الله الكونية والميزان الشرعي هو العدل في إرادة الله الشرعية.

وفي كل ذلك فإن الله هو أحكم الحاكمين كما في قوله تعالى: أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ التين. وهو أيضا خير الحاكمين كما في قوله: وَاتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ يونس. فالحكم كله لله تعالى ومنه الحكم الجزائي وهو سبحانه خير الفاصلين كما في قوله تعالى: إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ الأنعام. وذلك لان الله عز وجل عدل في إرادته وحكمه وقضائه العدل التام المنافي للظلم والدليل قوله تعالى: تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ^ق وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ آل عمران. ومن ذلك أن الله عدل في جزاءه وثوابه كما أخبر هو بذلك في قوله تعالى: وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ الحاقة. وقوله تعالى: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ^ط فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ يونس.

وقد ثبت في السنة أن الله عز وجل حرم الظلم على نفسه في حكمه الكوني وعلى عباده في حكمه الشرعي فعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُحْطِثُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَجْفَرِ قَلْبِ

رَجُلٍ وَاحِدٍ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْخَيْطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِآيَاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ. وفي رواية: إِنِّي حَرَمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي، فَلَا تَظَالُمُوا. (صحيح مسلم).

وهذا فيه أن الله لم يحرم الظلم على عباده كونا بل حرمه شرعا وهذا من حكمته سبحانه فقد بين حكمه الشرعي للكافرين حتى يغفر لمن يشاء برحمته ويعذب من يشاء بعدله في حكمه الجزائي كما في قوله تعالى: وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ الفتح. وقد جاء في تفسير السعدي أن معنى ذلك أن الله تعالى هو المنفرد بملك السماوات والأرض، يتصرف فيهما بما يشاء من الأحكام القدريّة، والأحكام الشرعيّة، والأحكام الجزائيّة، ولهذا ذكر حكم الجزاء المرتب على الأحكام الشرعيّة، فقال: يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وهو من قام بما أمره الله به وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ممن تهاون بأمر الله، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا أي: وصفه اللازم الذي لا ينفك عنه المغفرة والرحمة، فلا يزال في جميع الأوقات يغفر للمذنبين، ويتجاوز عن الخطائين، ويتقبل توبة التائبين، وينزل خيره المدرار، آناء الليل والنهار [هـ]. فهذا الحكم الجزائي مرتبط بالهداية فيغفر لمن يشاء بأن يهديه للإسلام والطاعة ويعذب من يشاء بأن يكله إلى نفسه الجاهلة الظالمة المقتضية لعمل الشر فيعمل الشر ويعذب على ذلك كما جاء بيان ذلك في تفسير السعدي رحمه الله.

وكما أن الله عز وجل له إرادتان الكونية والشرعية فإن له سبحانه أيضا هديتان وهما الهداية الكونية وهي هداية التوفيق والإنقياد والهداية الشرعية وهي هداية المعرفة والإرشاد. واجتمعت الهديتان في قوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ

وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نَوْراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ الشورى.

ووجه ذلك أن الله عز وجل يهدي من يشاء ومن يريد فهذه الهداية المرتبطة بمشيئته وإرادته سبحانه هي الهداية الكونية وقد وردت في عدة مواضع في القرآن منها قوله تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ القصص. وفي قوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ الحج. وأما الهداية الأخرى في قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) فهي المرتبطة بمعرفة الحق وهي الهداية الشرعية وقد وردت أيضاً في عدة مواضع في القرآن منها قوله تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ النساء. وهذه الهداية تكون مرتبطة بالوحي وهي هداية بيان للحق كما في قوله تعالى: وَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ الأنعام.

وبهذا يتبين أن كل المخلوقات مسيرين بإرادة الله الكونية وأن المكلفين منهم من الجن والإنس مخيرين بإرادة الله الشرعية. ولكن الله عز وجل جعل لهدايته الكونية مسببات منها الإنابة إليه كما في قوله تعالى: اللَّهُ يُجْتَبَى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ الشورى. وقوله تعالى: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الرعد.

ومن ذلك أيضاً الإيمان بالله والأعتصام به كما في قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ النساء. ومن ذلك أيضاً إتباع أمر الله الشرعي الذي يحبه الله ويرضاه كما في قوله تعالى: يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ المائدة. وهذا كله من عدل الله ورحمته سبحانه. ومن أعظم أسباب الهداية هي الجهاد في سبيل الله كما في قوله تعالى: وَالَّذِينَ

جاهدوا فينا لَنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ العنكبوت. وقد جاء في تفسير السعدي قوله: دل هذا، على أن أخرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوعي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين [هـ].

2.5 الأصل في هذا الكون استقراره وثباته وتوازنه وبركته

من المعلوم بالضرورة وما دلت عليه البراهين الشرعية والعقلية أن الأصل في هذا الكون استقراره وثباته وتوازنه وبركته حتى يصلح للحياة ومن ذلك أن الله عز وجل جعل الأرض مستقرة وثابتة ومبسوطة والجبال أوتادا والسماء مرفوعة والسحاب ممطرة والرياح مسخرة والفلك والأنهار جارية والبحار محسورة والشمس سراجا والقمر نورا والنهار معاشا والليل سكا والنجوم دليلا والشجار مثمرة والدواب متحركة وسائر المخلوقات المتنوعة وغيرها من الآيات العظيمة الدالة عليه والمرشدة إليه، فكل ذلك من آيات الله الكونية الدالة على عظمته وحكمته سبحانه والتي أراد الله منا بإرادته الكونية أن نراها وإيرادته الشرعية أن نتدبر فيها ونتمتع في تفاصيلها بما أودع فينا من عقل وفطرة. وقد قال تعالى في ذلك: وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرُكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ النمل. وقوله تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

وَالْآيَاتِ فِي ذَلِكَ عَدِيدَةٌ وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ الْأَنْبِيَاءُ.. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٤﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٥﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ يس. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ البقرة. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ التَّجُومَ لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ الأنعام.

وكل هذا فيه الحجة البالغة على استحقاقه للعبادة وحده لا شريك له بالطريقة التي ارتضاها ومن ذلك وجوب تسبيحه وتقديسه بأسمائه وصفاته بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل إذ قال جل جلاله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ لِيَجْعَلَ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ الْأَعْلَى. وجاء في تفسير السعدي في بيان معنى هذه الآيات أنه تعالى يأمر بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحا، يليق بعظمة الله تعالى، بأن تذكر أسمائه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم. الذي خلق فسوى أي: أثنى وأحسن خلقها وَالَّذِي قَدَّرَ تَقْدِيرًا، تتبعه جميع المقدرات فَهَدَى إلى ذلك جميع المخلوقات. وهذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته، وتذكر فيها نعمه الدنيوية، ولهذا قال فيها: وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى أي: أنزل من السماء ماء فأنبث به أنواع النبات والعشب الكثير، فترع فيها الناس والبهائم وكل حيوان، ثم بعد أن استكمل ما قدر له من الشباب، أوى نباته، وصوح عشبه. لِيَجْعَلَ غُثَاءً أَحْوَى أي: أسود أي: جعله هشيماً رميماً، ويذكر فيها نعمه الدنيوية [هـ]. فتبارك الله أحسن الخالقين.

فلولا ثبات الكون واستقراره وبركته لما صلح للحياة ولما كانت الحياة ممكنة ومستقرة ومنظمة ومنتجة. ولهذا فإن الإنسان يعيش في هذا الكون ويستفيد منه ومن ثماره ونعمه وبركاته وموارده ومعادنه وغيرها من الأشياء التي جعلها الله في هذا الكون ليستفيد منها بفضلها ورحمته ومنه علينا. وفي ثبات الكون واستقراره غايات عظيمة ومصالح كثيرة ومن أهمها تعلم العدد والحساب كما في قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ يونس.

فكل هذه الآيات واضحة في دلالتها على عظمة الخالق وحكمته وعدله ورحمته. ولهذا فقد ذكر الله

عزل وجل أن آياته لقوم يعقلون، يعلمون، يفقهون، يؤمنون، يوقنون، أو يتفكرون، وهم أولي الألبات الصادقين حقا مع أنفسهم ومع خالقهم بما أودعه فيهم من هداية وبصيرة بفضلهم ومنه عليهم. وهم الذين آمنوا بالله حقا على يقين ولم يرتابوا وجاهدوا في الله لنصرة الحق كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾** (١٥) الحجرات. ولهذا ما ينكر هذه الآيات الواضحة إلا المعاندين لها والكافرين بها والمشككين فيها والمعرضين عنها وعن خالقهم كفرا وعدوانا وظلما. ولهذا فقد سماهم الله جل جلاله العمي وحجب عنهم الهداية الكونية ونفى عنهم اليقين بعدله سبحانه فقال لنبيه: **﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾** (٨١) وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ **﴿٨٢﴾** النمل. وهم الذين يجادلون في آيات الله بالباطل فطبع الله على قلوبهم كما في قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾** (٣٥) غافر. وقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** (٥٦) غافر. فهم تكبروا عن قبول الحق لكفرهم كما قال تعالى: **﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾** (٤) غافر.

2.6 الإخلال بالميزان الشرعي سبب للإخلال بالميزان الكوني

ومن عدله وحكمته سبحانه أنه جعل الظلم منافيا ومخالفا للميزان الشرعي وسببا للإخلال بالميزان الكوني لولا أن مشيئته سبحانه نافذة على غيره، فهذا الكون محفوظ بإمر الله الكوني ولكن هذا

الحفظ والإستقرار أما جعله الله برهانا واضحا على ربوبيته وألوهيته حتى يقيم المكلفين الحق والميزان الشرعي، ولكن الله جعل الظلم من أسباب الإخلال بالميزان الكوني والتي تقع بإذنه إما لحكمته أو عدله أو رحمته. وهذا الإخلال قد يقع في صور مختلفة الجوع والخوف وقلة المطر والزلازل وذهاب البركة وغير ذلك من صور البلاء. ومن أعظم ذلك الكفر بالله كالشرك أو دعوة الولد له سبحانه والدليل قوله تعالى: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ مريم. يقول السعدي رحمه الله: أَنَّ دَعَا لِلرَّحْمَنِ أَي: من أجل هذه الدعوى القبيحة تكاد هذه المخلوقات، أن يكون منها ما ذكر. والحال أنه: مَا يَنْبَغِي أَي: لا يليق ولا يكون لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا وذلك لأن اتخاذه الولد، يدل على نقصه واحتياجه، وهو الغني الحميد. والولد أيضا، من جنس والده، والله تعالى لا شبيه له ولا مثل ولا سمي [ه]. وهذا فيه أن الكفر ونسبة الولد لله وهو من الإخلال بالميزان الشرعي الذي أمر الله به سببا للخلل بالميزان الكوني فيكاد يحصل الإضراب الذي به يكون خراب هذا الكون.

ومن ذلك أيضا اتباع الهوى بدلا من إقامة الحق ونصرتة كما في قوله تعالى: وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ^ج بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ المؤمنون. يقول السعدي في تفسيره: ووجه ذلك أن أهواءهم متعلقة بالظلم والكفر والفساد من الأخلاق والأعمال، فلو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، لفساد التصرف والتدبير المبني على الظلم وعدم العدل، فالسماوات والأرض ما استقامتا إلا بالحق والعدل [ه].

ومن ذلك أيضا نقصان البركة بسبب المعاصي كما في قوله تعالى: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ الروم. فقد ورد في تفسير

القرطبي أن ابن عباس قال: هو نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا [هـ]. وجاء في تفسير ابن كثير أن زيد بن ربيع قال: (ظهر الفساد) يعني انقطاع المطر عن البر يعقبه القحط، وعن البحر تعمى دوابه [هـ].

ومن ذلك أيضا الكفر بأنعم الله كما في قوله تعالى: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ النحل. وسيأتي توضيح أسباب هذا العذاب في بيان حال الأمم مع الحق والميزان.

2.7 أقسام الميزان الكوني

ينقسم الميزان الكوني إلى قسمين وهما:

• الميزان السببي.

• الميزان الغيبي.

فالقسم الأول هو الميزان السببي وهو يدرك بالعقل والفطرة وما من الله به على خلقه من حواس كالبر والسمع والإحساس. وهذا لان في هذا الميزان حقيقة الأشياء بمسمياتها. والمخلوقات تتفاوت في المعرفة بهذا الميزان كل بحسب حاله ومقامه ولكن الله جل جلاله أختص الإنسان وفضله على سائر الخلق بأن جعل له عقلا يدرك به من الأسباب ما لا يمكن لغيره من المخلوقات. فأراد الله جل جلاله أن يجعله خليفة في الأرض خلقه على صورته. وهذا ما فضل به آدم على الملائكة فأمرهم بالسجود له سجود التحية والإحترام كما في قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ

ما لا تعلمون ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ البقرة. وفيه أن إبليس قد حسد آدم في الصورة التي خلق بها وعلى ما من الله به عليه من هذه القدرة المعرفية التي استحق بها هذا الثناء والتقدير. ولهذا فما كان للشيطان أن يقول مستكبرا أنه خيرا منه خلقت من نار وآدم من طين استكبارا منه كفرا. وما كان له إلا أن يسعى لإضلاله وإخراجه من الجنة حسدا منه على هذه الفضائل. ولم يكتفي بذلك بل أخذ العهد على نفسه لإغواء كل ذرية بني آدم كما حذرنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم.

وبالمعرفة بهذا الميزان لا زالت تتقدم الحضارات وتطور في الأخذ بالأسباب لإنجاز ما لم يكن ممكنا لما سبق من الأمم من التكنولوجيا وشتى العلوم. ومفتاح كل هذه العلوم هو علم الحساب حيث به تعرف مقادير الأشياء وتقديرها ولهذا فقد أمر الله تعالى بتعليمه من الآيات الكونية كما تقدم. ولهذا فإن الميزان السببي يحتاج إلى بحث وتمعن في آيات الله الكوني وما يخفى منه على الإنسان أكثر مما يعلم لهذا قال جل جلاله فيه:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ الإسراء.

مثال على الميزان السببي ذي القرنين

أما القسم الثاني فهو الميزان الغيبي منه ما أذن الله بمعرفته

مثال على الميزان الغيبي قصة الخضر وموسى عليهما السلام

2.8 أقسام الميزان الشرعي

ينقسم الميزان الشرعي إلى قسمين وهما:

- الميزان الفطري.
- الميزان الوحي.

فالميزان الفطري يدرك بالفطرة السليمة الموافقة للعقل والتي فطر الله الناس عليها فيعرف به الخير من الشر والعدل من الظلم والإسلام من الكفر وغير ذلك من الأمور التي فطر الله الناس عليها والدليل على هذا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهْدَاهُ أَوْ يُنْصِرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَيْهَمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فِطَرَتُ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا [الروم: 30] (الآية (صحيح البخاري).

ومن الأمور التي تخالف الميزان الفطري مثل الشرك (وبالأخص شرك الربوبية) والمجاهرة بالمعاصي والقتل والواط والسرقة والغش في الكيل فهي أمور تدرك بالفطرة السليمة الموافقة للعقل ويمكن إثباتها لكل ذي عقل حتى بدون وحي. ومن ذلك أن أغلب الأمم مسلبة كانت أو كافرة اتفقت على فرض عقوبات على السرقة والغش على سبيل المثال لموافقة ذلك للفطرة السليمة. ولهذا فإن مخالفة الميزان الفطري هي أشد جرماً من مخالفة الميزان الوحي لأنها تعارض فطرة الله التي فطر الناس عليها والتي يمكن إدراكها حتى بدون وحي. ويعتبر الميزان الفطري أدنى مرتبة من الميزان الوحي وفي معارضة هذا الميزان تعجيل سخط الله وعقوبته في الدنيا قبل الآخرة. ويعتبر الميزان الفطري ناقص حيث لا يمكن به إدراك العديد من الأمور الشرعية التي يحتاج إلى الوحي لإدراكها ومنها العقيدة والعبادات والأحكام الشرعية وغيرها من الأمور التي لا يمكن إدراكها بالفطرة السليمة

الموافقة للعقل. ولهذا فقد أرسل الله جل جلاله الرسل وأنزل الكتب لبيان الميزان الوحي والذي به يكتمل بيان الميزان الشرعي كما جاء في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه.

وأما القسم الثاني من الميزان الشرعي فهو الميزان الوحي وهو موافق للميزان الفطري ومكمل له. ويدرك بالوحي بالمنزل من عند الله تبارك وتعالى ولهذا فقد أثبت سبحانه موافقة دين الإسلام للفطرة التي فطر الناس عليها في قوله تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَرِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ الروم. وقد جاء في تفسير السعدي بيان ذلك حيث

وجاء أيضا في الحديث القدسي عن الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاءً فاجتالهم الشياطينُ فخرمْتُ عليهم ما أحللتُ لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً (صحيح، مجموع الفتاوى لابن تيمية). ومن الأمور التي تخالف الوحي مثل الشرك (وبالأخص شرك الألوهية)، ومنع الزكاة، والحكم بغير ما أنزل الله كتحريم ما أحل الله أو تحيل ما حرم الله وغير ذلك من الأمور التي تخالف أمر الله ورسوله والتي يمكن إدراكها بالوحي المنزل وبالحجة الواضحة والبيئة إستانادا إلى جاء في كتاب الله عز وجل، أو صح في سنه نبيه الكريم، أو ثبت عن سبيل المؤمنين من السلف الصالحين.

ولهذا فقد أمر الله عز وجل جميع الأنبياء لدعوة المشركين لعبادة الله وحده لا شريك له (أي إلى توحيد الألوهية) وإقامة الحجّة عليهم بإيمانهم بأن الله هو من خلقهم وخلق السموات والأرض وهو مدير الكون (أي بإيمانهم بتوحيد الربوبية) كما في قوله تعالى: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ الزمر. وفي قوله تعالى: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ الزخرف. فوصف الله جل جلاله

هؤلاء بأن أكثرهم لا يعقلون في قوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنَ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ العنكبوت. ووصفهم جل جلاله أيضا بأنهم لا يعلمون في قوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لقمان. ؛ أولا لا يعقلون لمخالفتهم الفطرة الموافقة للعقل وثانيا لا يعلمون لمخالفتهم العلم الشرعي وهو أمر الله المنزل من عنده. ولهذا فقد بين ذلك إبراهيم عليه السلام لأبيه كما في قوله تعالى: إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ مريم. فخافه أولا بالحجة العقلية في عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر، وحاجه ثانيا بالعلم الصحيح المنزل من الله تبارك وتعالى وهو الوحي الموافق للفطرة. وبين له الحكم الجزائي للشرك الموجب لعذاب الله فأقام عليه بذلك الحجة الكاملة والواضحة.

2.9 الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب

أرسل الله عز وجل رسله بالكتاب أولا لبيان الحق وهو العلم الصحيح ومن ثم لإقامة الميزان الشرعي بالقسط والعدل بين الناس حيث يقول جل جلاله: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ الحديد. فالقسط في الكيل والوزن والعدل بين الناس من إقامة الميزان الشرعي وهو من الأمور التي أوصى الله تعالى بها وهي من أسباب القوى ولهذا فقد

دلنا سبحانه على الحديد والأخذ به لنصرة الله جل جلاله ورسله ونصرة الحق الذي جاءوا به. وفي هذا دليل على أن نصرة الله ورسله تكون بثلاثة أمور وهي: (1) إقامة الحق بالعلم الصحيح، (2) إقامة الميزان الشرعي بالعدل والقسط، (3) الأخذ بأسباب القوى كالحديد وما يلزم ذلك من علوم كالحساب والطب وغيرها من العلوم التي تكمن للمسلمين من دحر الأعداء ونشر الحق ونصرته. وهذه الأمور الثلاثة هي أركان الحكم الرشيد التي بها يكون التمكين كما سيأتي بيان ذلك في فصل الحكم الرشيد.

فإن الله جل جلاله أنزل كتابه لتحقيق هذه الغاية العظيمة وهي إقامة الحق والميزان الشرعي كما بين ذلك في قوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ الشورى. فذكر الله الميزان إلحاقاً بالحق لأن الحق لا يكون إلا بالعلم الصحيح وهو يقتضي الميزان الشرعي الذي لا يكون إلا بالعمل الصحيح ومنه العدل والقسط كما أمر تعالى ومن ذلك بلا شك الحساب الصحيح كما سيأتي. فإقامة الميزان الشرعي من الوصايا العشر من سورة الأنعام في قوله تعالى: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ الأنعام. فقرن الله عز وجل في هذه الآيات بين الكيل والميزان والعدل في القول والوفاء بالعهد. وفيه أن الميزان والكيل لا يكون إلا بالقسط وهو العدل. وفيه أن العدل ذكر مع ذا القربى ولذلك يكون العدل بين الناس. وأيضاً من الوصايا التي ذكرها الله في سورة الإسراء في قوله تعالى: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ الإسراء. يقول السعدي في تفسيره: وهذا أمر بالعدل وإيفاء المكييل والموازين بالقسط من غير بخس ولا نقص. ويؤخذ من عموم المعنى النهي عن كل غش في ثمن أو مئمن أو معقود عليه والأمر بالنصح والصدق في المعاملة [هـ]. ومن ذلك بلا شك الحساب ولذلك وجب الوفاء

والصدق فيه من غير غش ولا تضليل وإقامة الميزان فيه بالقسط كما في الكيل.

2.10 مكانة أهل العلم الشرعي

ولما كان الحق هو العلم الصحيح، كان أهل العلم الشرعي هم أعلم الناس بالحق كما في قوله تعالى: وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ سَاءَ وَفِيهِ أَنْ الْحَقَّ يَهْدِي إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ كما ذكر تعالى في هذه الآية وفي قوله تعالى: وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ الحج. فقد جعل الله جل جلاله أهل العلم حجة على الناس لما معهم من الحق فكانوا بذلك هم ورثة الأنبياء في الأرض فقد قال تعالى: قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُونَ لِلْآذَانِ حُبًّا ﴿١٠٧﴾ الإسراء. وقوله تعالى: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ العنكبوت.

ولهذا فقد رفع الله مكانة أهل الإيمان وأهل العلم في الدنيا والآخرة لما عرفوا من الحق كما في قوله تعالى: يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ المجادلة. ومن أعظم ذلك قوله تعالى: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ آل عمران. يقول السعدي في تفسيره: هذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له، وهي شهادته تعالى وشهادة خواص الخلق وهم الملائكة وأهل العلم [١٠] وأما شهادة أهل العلم فلأنهم هم المرجع في جميع الأمور الدينية خصوصا في أعظم الأمور وأجلها وأشرفها وهو التوحيد، فكلهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك ودعوا إليه وبينوا للناس الطرق الموصلة إليه،

فوجب على الخلق التزام هذا الأمر المشهود عليه والعمل به، وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهد به بنفسه وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم. وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة، منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس، ومنها: أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفى بذلك فضلاً، ومنها: أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتصفون بصفته، ومنها: أنه تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنها: أن إشهداه تعالى أهل العلم يتضمن ذلك تزكيتهم وتعديلهم وأنهم أمناء على ما استرعاهم عليه [هـ].

2.11 حال الأنبياء مع الميزان الشرعي

ولما كان الأنبياء أعلم الناس بأمر الله وأحرصهم، فقد أقاموا الميزان الشرعي حق إقامته في حكمهم الرشيد بين الخلق. ومثال ذلك يوسف عليه السلام في قوله تعالى: قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ^ص إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكَ ﴿٥٥﴾ يوسف. وهذا فيه حرصه عليه السلام على إقامة الكيل والوزن بما يرضي الله وهذا من الإصلاح الذي أمر الله به حيث قال لإخوته عن الكيل: وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَنْعَ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْأَتْرُونَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ يوسف.

فلا شك أن التفريط في الكيل والوزن من أعظم البلايا التي حذرنا الله عز وجل منها في كتابه

الكريم فيقول تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَيُلِّهِمُ الْمُطْغَفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ الْمُطْغَفِينَ. فالظلم في الكيل والوزن من الإفساد العظيم ومن أسباب تعجيل العذاب في الدنيا قبل الآخرة، وفي قصة مدين مع نبيهم شعيبا العبرة الواضحة في ذلك. يقول تعالى على لسان نبيه شعيب محذرا قومه: وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ الْأَعْرَافِ. وفي موضع آخر من سورة الشعراء: أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ الشعراء. وفي سورة هود: وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَقْصُصُوا الْمِيزَانَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِيزَانَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ هود. وهذا فيه أن شعيبا عليه السلام دعا قومه لإقامة الحق أولا وهو التوحيد بإفراد الله بالعبادة وثانيا لإقامة الميزان الشرعي وهو الكيل والوزن بالقسط. وفيه أن يخس الناس أشياءهم والخسران والنقصان في الكيل والوزن من الظلم والفساد الموجب لسخط الله وعذابه العاجل.

ونبينا ﷺ كان من أحرص الناس في إقامة الكيل والميزان وحذر من الفساد في ذلك في العديد من المواضع منها ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ: «إِنَّكُمْ قَدْ وَلِيتُمْ أَمْرَيْنِ هَلَكَتَ فِيهِمَا الْأُمَمُ السَّالِقَةُ قَبْلَكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ نَحْمُسُ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ

بَيْنَ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُمْ: لَمْ تَظْهَرَ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالْسِّنَنِ وَشِدَّةِ الْمُؤَنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بِبَعْضِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تُحْكَمْ أَعْمَتُهُمْ بِكَلَامِ اللَّهِ وَيَخْتَارُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْمِهِمْ يَدِيَهُمْ». أخرجه ابن ماجه وصحه الألباني. فكل ما ذكره النبي ﷺ في هذه الحديث هي من المعاصي التي تخالف الميزان الشرعي. فالجاهرة بالمعاصي وإنقاص الكيل لا يعارض فقط الميزان الشرعي بل أيضا الميزان الفطري والذي هو أساس الميزان الشرعي والذي يمكن إدراكه بالفطرة السليمة. وفي تقديم هذا النوع بيان المبالغة في المعصية. وأما منع الزكاة، ومخالفة أمر الله ورسوله، والحكم بغير ما أنزل الله فهي تخالف الميزان الشرعي الذي يدرك بالوحي. وكل هذه الأمور من أسباب البلاء العظيم ومنها الفقر والجوع وجور السلطان. وفيه الدليل على نبوته ﷺ فقد وقع ذلك كما أخبر بعد أن تهاون الكثير من المسلمين في أمر الميزان والمكّال إلا من رحم الله. وقد علم الصحابة والتابعين بأهمية إقامة الميزان والمكّال وأن الفساد فيهما من أسباب سخط الله ومنه ما ورد عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، يَقُولُ إِذَا جِئْتَ أَرْضًا يُوفُونَ الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ فَاطْلُ الْمَقَامَ بِهَا وَإِذَا جِئْتَ أَرْضًا يَنْقُصُونَ الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ فَاقْلِلِ الْمَقَامَ بِهَا.

ومن ذلك أيضا الربا وبيع العينة لما فيه من التلاعب بالميزان الذي أمر الله بإقامته فعَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ" (صححه الألباني). يقول الشيخ العثيمين في بيان العينة: أن يبيع شيئا بثمن مؤجل ثم يشتريه ممن باعه عليه بأقل منه نقداً [٥].

وسُمي بذلك لأن المشتري لم يرد السلعة وإنما أراد العين أي: النقد، النقد لينتفع به، ودليل ذلك: أنه اشتراها بثمن زائد مؤجل، ثم باعها على من اشتراها منه بنقد، فكأنه لم يقصد هذه السلعة وإنما قصد الثمن الدراهم، فلهذا سمي بيع عينة [٥] والغالب أن هذا ملازم لهذا، يعني أن الذي ينهمك في طلب الدنيا ويتحيل على الحصول عليها حتى بما حرم الله، الغالب أنه يترك الجهاد، لأن قلبه انشغل بالدنيا عنه. [هـ]. وهذا فيه أن التفریط في الميزان حبا في الدنيا من أسباب عقاب الله وتسلب الأعداء، فعن ثوبان، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا". فَقَالَ قَاتِلٌ وَمِنْ قَلِيلٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ "بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ". فَقَالَ قَاتِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ "حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ" (صححه الألباني). وفيه إن التفریط في الميزان الشرعي الذي أمر الله به حبا في الدنيا هو من أسباب الذل والهوان في الدنيا قبل الآخرة.

2.12 حال الأمم مع الميزان

الحساب الصحيح يبني على الميزان. فإن وافق هذا الحساب آيات الله الشرعية أو الفطرة السليمة فهو من العدل والإصلاح الذي أمر الله به. وإن خالف أمر الله أو الفطرة التي فطر الله الناس عليها فهو من الظلم والفساد الذي لا يرضى الله به ومن أسباب تعجيل سخط الله في الدنيا قبل الآخرة. وهذا بالعموم على المسلمين وغيرهم. فقد قال تعالى: وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ هود. وقد جاء في تفسير الطبري أن معنى ذلك أن الله جل جلاله لم يكن ليهلكهم بشرهم بالله. وذلك قوله "بظلم" يعني: بشرك، (وأهلها مصلحون)، فيما بينهم لا يتظالمون، ولكنهم يتعاطون

الحقّ بينهم ، وإن كانوا مشركين، إنما يهلكهم إذا تظالموا [هـ]. والحق هنا هو العدل الموافق للفطرة. وجاء أيضاً تفصيل ذلك في تفسير القرطبي أن معنى وأهلها مصلحون أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق؛ أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب بنخس الميكال والميزان، وقوم لوط باللواط؛ ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب [هـ]. وفي صحيح الترمذي من حديث أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده. قال ابن القيم رحمه الله: «أصل كل خير في الدنيا والآخرة هو العلم والعدل، وأصل كل شر في الدنيا والآخرة الجهل والظلم، والعدل مرجعه إلى العلم لأن من لم يعلم لا يستطيع أن يعدل». [هـ] يحتاج تحقيق من المصدر

ج وقوله تعالى: وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ يونس. وفيه أن الله جل جلاله ناظر على أعمالنا وأعمال الأمم ومجازيها بعدله سبحانه وتعالى. فحال الأمم يدور مع الحق والميزان في أربعة أحوال من الأقل تمكيناً إلى الأكثر تمكيناً:

- الدولة الكافرة الظالمة
- الدولة المسلمة الظالمة
- الدولة الكافرة العادلة
- الدولة المؤمنة العادلة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ولهذا يروى أن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة [هـ] (مجموع الفتاوى 28/63). والأصح أن يقال: "ولا ينصر

الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة" وهذا لان الظلم ينافي الغاية من الإيمان وكأله وهو بلا شك معصية لله ورسوله والدليل قوله تعالى: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ الحجرات. فالدولة المؤمنة هي التي تطيع الله ورسوله ومن ذلك الحكم بالعدل، فإن خالفت أمر الله فقد خالفت الغاية من الإيمان وتكون أدنى مرتبة في الدين وهي مرتبة الإسلام. وقد قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في توضيح هذا المعنى: ذلك لأنَّ الظلم هو سبب خراب البلاد وهلاك العباد، فإذا كانت الأمة أو الدولة كافرة ولكنها تحكم بالعدل فيما بينها، هذا العدل الذي يعرفه الناس بفطرتهم، فإذا كانوا يحكمون بذلك فستقوم دولتهم وتستمرُّ مدَّةً طويلة، والتاريخ يحفل بهذا [هـ]. والحساب يكون سبيل إلى الحكم بالعدل إن كان صحيحا إن يوافق الفطرة السليمة ونجاة من سخط الله وعذابه العاجل في الدنيا. فإن وافق الحساب الحكم الشرعي مع الفطرة كان ذلك نجاة في الدنيا والأخرة وكان حكما راشدا. ولهذا كان الحساب لإقامة الحق والميزان من بنيان الحكم الرشيد. وعليه يكون علم الحساب من الدين بالضرورة وليس بخلاف ذلك إذ يتعذر إقامة الميزان حق إقامته من دون حساب صحيح.

فالدولة الكافرة عدلها في موافقة الفطرة والدولة المسلمة عدلها في موافقة الشرع بما عرفوا من الحق عن طريق الرسل التي جاتهم بالكتب والتي تين حكم الله الشرعي كما في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيْبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ آل عمران.

بالتبعية والاستقراء يتبين أن الله يقيم الأمم التي تحكم بالعدل الذي يوافق الفطرة وإن كانت كافرة. فإن في ذلك سلامة من عذاب الله في الدنيا كما تقدم. فإن كانت مؤمنة وتحكم بالعدل كانت حكما راشدا ووعدها الله بالتمكين في الدنيا والفوز في الآخرة، يقول تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ النور. وإن كانت مسلمة ولا تحكم بالعدل فقد خالفت حكمة الله والغاية من إيمانها الذي يقتضي إقامة العدل والميزان ويصدق فيها قوله تعالى: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ الحجرات. وهذا هو حال أغلب أمة الإسلام في يومنا هذا كما هو معروف. فتكون بذلك الأمة الكافرة التي تحكم بالعدل قائمة فوق الأمة المسلمة التي لا تحكم بالعدل. وأما الأمة المؤمنة التي تقيم الحق وأجله التوحيد وما يقتضيه ذلك من إقامة الميزان ومنه العدل بين الناس تكون هي فوقهم جميعا كما دلت على ذلك الآيات والأحاديث. وهذا فيه الحكمة البالغة من الله عز وجل ومنه أن الله لا يرضى لعباده الظلم ولا يزال ذلك حال الأمة المسلمة حتى تقيم الميزان والكيل والعدل الذي أمر الله به. قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ الرعد. وهذا يشمل الراعي والرعية.

وبهذا يعلم أن الأمم إنما تقام بإقامة الميزان ومنه العدل بين الناس فإن تحقق ذلك سلمت سخط الله وعذابه في الدنيا وإن كانت كافرة. فإن لم تقيم الميزان والعدل بين الناس فتكون بذلك قد جنت على نفسها عقاب الله العاجل في الدنيا من فقر وجوع وذل وجور السلطان وإن كانت مسلمة. وأما إن كانت مؤمنة وأقامت الحق مع إقامة الميزان كما أمر الله كانت حكمة راشدا وتحقق لها التمكين في الدنيا والفوز في الآخرة. وأما إقامة التوحيد دون إقامة الميزان وما يقتضيه من العدل بين الناس فهذا يتنافى حكمة الله وأمره الذي بينه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ. ولهذا وجب على المسلمين ودعاتهم الرجوع إلى أمر الله وعدم التهاون في ذلك ومنه العناية بإقامة الحق ومنه التوحيد وإقامة الميزان ومنه

العدل بين الناس على حد السواء حتى يكون لهم التمكين الذي أمر الله به. ولذلك وجب علينا العناية بالحساب الصحيح بحثاً وتطبيقاً سعياً لتحقيق هذه الغاية العظيمة التي أمرنا الله بها وهي إقامة الحق والميزان الذي يبني عليه الحكم الرشيد.

فقد روى الإمام أحمد في "المسند" (30 / 355) عَنْ حَدِيثَةٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مَنِهَاجِ النَّبُوءَةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبَرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مَنِهَاجِ نَبُوءَةٍ).

2.13 الغاية من علم الحساب

رغم أن علم الحساب قد يدرس لغايات كونية محضة إلا أن العلم به من الضروريات التي يحتاج إليها الناس في أمور دينهم ودنياهم. فعلم الحساب هو الوسيلة لتحقيق الغاية العظيمة التي أمر الله بها وهي إقامة الميزان والعدل. ولهذا كان البحث في علم الحساب من الأمور التي حث الله تعالى عليها في موضعين في كتابه. قال تعالى: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ۖ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ الإسراء. يقول السعدي رحمه الله في تفسيره: وَلِتَعْلَمُوا بتوالي الليل والنهار واختلاف القمر عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ فتنبون عليها ما تشاءون من مصالحكم. وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا أي: بينا الآيات وصرفناه لتنميز الأشياء ويستبين الحق من الباطل كما قال تعالى: مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ [هـ]. وقال تعالى:

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ يونس. يقول السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآيات: وفي هذه الآيات الحث والترغيب على التفكير في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة [هـ].

وفي هذا الحث والترغيب في علم الحساب الحكمة البالغة من الله جل جلاله. ومن ذلك أن علم الحساب هو مفتاح جميع العلوم التي يمكن فيها القياس والعد ولا يمكن فهمها فهما صحيحا من دون الحساب الصحيح. فعلم الحساب يحتاج لفهم الميزان الكوني من آيات الله الكونية وإقامة الميزان الشرعي باتباع آيات الله الشرعية. من الأمثلة لتطبيقات علم الحساب في اتباع آيات الله الشرعية كعلم الموارد والبيع والشراء وغيرها من المعاملات التي يحتاج إليها الناس. ومن الأمثلة على تطبيقات علم الحساب في فهم آيات الله الكونية كحركة الشمس والقمر وغيرها من الظواهر الطبيعية التي خلقها الله لما في ذلك من تفكر في عظمة الله وزيادة في الإيمان. وإن أفضل طريقة لفهم علم الحساب هي التأمل والتفكر في آيات الله الكونية وهي الظواهر الطبيعية التي خلقها الله وجعل لها الميزان الكوني لفهمها وحسابها. فهي المرجع لنا حتى نتحقق من صحة وسلامة الحساب. وهذا النهج هو نهج القرآن وهو أفضل الطرق وأحسنها. ويمكن أيضا دراسة علم الحساب مجردا من أي تطبيقات وهذا نهج معروف. ولكن الجمع بين العلوم الطبيعية كعلم الفيزياء والحساب لمحاكاة الظواهر الطبيعية هي الطريق الأمثل لتطوير علم الحساب وهذا معروف لأهل هذا العلم. وبهذا يكون الميزان الكوني طريقا لتعلم الحساب الصحيح ومن ثم يكون الحساب الصحيح وسيلة لإقامة الميزان الشرعي الذي أمر الله به.

والحساب الصحيح لا يقام إلا بالميزان وهو صورة من صور الكيل إلا أن الكيل يكون بالميزان الحسي وأما الحساب يكون بالميزان العقلي. وعليه فإن الحساب لا يكون صحيحاً إلا بالقسط والعدل كما في الكيل الوزن تماماً. ومن رحمة الله أنه فطر الناس على هذا وجعل لهم كل ما يحتاجونه من عقل وسمع وبصر لفهم الحساب والعدد وليبنوا عليه مصالحهم الدينية والدنيوية. ولهذا فإن الآيات الشرعية التي تأمر بالعدل في الكيل وإقامة الميزان بالقسط فهي بلا شك تشمل الحساب بالميزان العقلي كما هو الحال مع الكيل بالميزان الحسي.

2.14 الحساب الصحيح من القسط

ولما كان الحساب هو مثل الكيل تماماً ولكن بالميزان العقلي بدلاً من الميزان الحسي، وجب إقامته بالقسط وهو العدل الظاهر.

2.15 الجهل بالحساب من الأمية

ومن أعظم البلايا في زماننا هذا أن المسلمين في غالبهم قد أضاعوا هذا العلم العظيم فلنا منهم أنه ليس من الدين في شيء بعد أن كانوا رواداً فيه ووضعوا أسسه وقواعده في زمن هارون الرشيد كما سيأتي. فاعتنت وتسابقت وتهافتت عليه الأمم الأخرى وكان سبباً في نهوضها وإزدهارها بل وأيضاً تسلطها على أمة الإسلام. فتضييع علم الحساب من الأمية التي جاء الإسلام بالحث على خلافها من طلب العلم ونشره وإقامة الحق والميزان. فالأمية لا تكون فقط بعدم القدرة على القراءة والكتابة كما هو شائع، وإنما أيضاً بعدم القدرة على الحساب. ومما يؤكد هذا الطرح قوله ﷺ عندما سأل عن عدد الأيام في

الشهر فقال ﷺ: إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا. يَعْنِي مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ، وَمَرَّةً ثَلَاثِينَ" (صحيح البخاري). فجعل ﷺ الجهل بعلم الحساب من الأمية.

ولهذا جاءت الشريعة بالحث أولاً على القراءة ومن ثم الحساب. فكان أول ما أنزل الله "إقرأ" وفيه الحث لأمة الإسلام على تعلم القراءة والكتابة وطلب العلم ونشره. يقول تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ العلق. ومن ثم جاء الحث على التأمل في آيات الله الكونية في مواضع كثيرة ليس فقط لمجرد التفكير في خلق الله ولكن أيضاً لتعلم العدد والحساب كما جاء في قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ يونس.

ولهذا فإن كل إنسان لم يتعلم الحساب مع القراءة والكتابة يكون أمياً كما بين ذلك النبي ﷺ. والله حث هذه الأمة الأمية في كتابه العظيم على العلم الذي يتأتى بالقراءة والكتابة حتى تقيم الحق والميزان الشرعي الذي يتأتى بالعدل والقسط في الكيل والحساب.

2.16 الحساب الصحيح يبني على الوزن

والحساب الصحيح لا يقام إلا بالميزان فعن أبي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى خَيْرٍ فَجَاءَهُ بِمِزَانٍ خَبِيثٍ فَقَالَ: «أَكُلْ تَمْرَ خَيْرٍ هَكَذَا؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. إِنَّا لَنَأْخُذُ الصَّاعَ مِنْ هَذَا بِالصَّاعَيْنِ وَالصَّاعَيْنِ بِالثَّلَاثِ فَقَالَ: «لَا تَفْعَلْ بَعِ الْجَمْعَ بِالذَّرَاهِمِ ثُمَّ اتَّبِعْ بِالذَّرَاهِمِ جَنِيْبًا». وَقَالَ: «فِي الْمِيزَانِ مِثْلُ ذَلِكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وهذا فيه حرص النبي ﷺ حيث أنه من

المعلوم أن من اخذ صاع اضافيا لا يثبت قيمة البيع. فيكون من أخذ صاعين بدل صاع فقد اشترى بنصف قيمة ما باع بينما من أخذ ثلاثة بدل اثنين فقد اشترى بثلتي قيمة ما باع وهذا من الظلم الذي لا يقع إلا خطأ أو جهلاً أو غشاً. فأخبر النبي ﷺ أن هذا بخلاف الميزان وهو الحساب الصحيح في البيع والشراء، بل ونهى عن ذلك وأمر بأخذ القيمة عند البيع ومن ثم الشراء حتى تثبت القيمة. وفيه أيضاً أن الرسول ﷺ سمي الحساب الصحيح ميزانا في قوله "في الميزان مثل ذلك". وهذا فيه دليل على نبوته ﷺ فهو أُمِّي لا يحسب ولكن لا ينطق إلا بالحق كما أخبر ذلك الله عز وجل في كتابه العظيم: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ النجم.

ومما يؤكد ما سبق أيضاً قوله ﷺ: الذهب بالذهب وزناً بوزن، مثلاً بمثل، سواءً بسواء، يداً بيد. يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى في بيان معنى هذا الحديث: ولا فرق بين كونه جديداً أو قديماً، أو كون هذا أطيّب وهذا أطيّب، ما دام جنس الذهب لا بد أن يكونا متساويين في الوزن يداً بيد، يقبض في الحال [هـ]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا -أي تفاضلوا- بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائباً بناجز (متفق عليه).

والحساب يبني على التقدير العددي والتقدير الفكري. أما التقدير العددي فهو يضبط بالوزن والتقدير فكري يضبط بالحق. ولهذا يكون تقدير المخلوق محدود وناقص بما توفر لديه من علم وإدراك. وأما تقدير الخالق فهو تقدير كامل لا نقص فيه لأن الله هو العليم بكل شئ والقادر على كل شئ. ومن تقدير الله التقدير الكوني والتقدير الشرعي. ولما كان تقدير الله هو الحق وهو الميزان الذي لا نقص فيه، وافق تقديره الكوني سبحانه الميزان الكومي وتقديره الشرعي الميزان الشرعي.

ولهذا فإن الحساب الصحيح يبني على التقدير العددي والوزن وهو ما نعرفه اليوم بالتساوي. فقد

سماء الخوارزمي رحمه الله تعالى بالجبر والمقابلة بحيث يبنى الحساب على التساوي بين المتغيرات لجبر ما اختل من الميزان، عليه يمكن حساب ما جهل منها. فقد قال ابن تيمية رحمه الله عن هذا: وأما حساب الفرائض ومعرفة أصول المسائل وتصحيحها والمناسخات وقسمة التركات، وهذا الثاني كله علم معقول يُعلم بالعقل، كسائر حساب المعاملات وغير ذلك من الأنواع التي يحتاج إليها الناس [٥] ثم قد ذكروا حساب المجهول الملقب بحساب الجبر والمقابلة في ذلك، وهو علم قديم [٥] أول من عرف أنه أدخله فيها محمد بن موسى الخوارزمي. وبعض الناس يذكر عن علي بن أبي طالب أنه تكلم فيه، وأنه تعلم ذلك من يهودي، وهذا كذب على علي [هـ]. (مجموع الفتاوى 9/214). ويقول ابن تيمية فيه أيضاً: وكذلك كثير من متأخري أصحابنا يشتغلون وقت بطالتهم بعلم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والهندسة ونحو ذلك، لأن فيه تفريحاً للنفس، وهو علم صحيح لا يدخل فيه غلط [هـ]. (مجموع الفتاوى ج9/ص129). ويقول الشيخ الفوزان حفظه الله: أما ما كان من علم الحساب الذي ينتفع به في معرفة المواقيت ومعرفة القبلة فهذا مباح وهو ما يسمى علم التسيير [٥] وهو معرفة الحساب الذي به ينتفع الناس في مواقيت عباداتهم ومعاملاتهم ومواقيت زروعهم وغرس أشجارهم ويستدلون به على القبلة فهذا مباح وقد يجب تعلمه إذا كان يعين على أداء العبادات في مواقيتها [هـ]. ويقول الشيخ ابن باز رحمه الله: ولكن على الأمة أن تتعلم أيضاً ما ينفعها في دنياها: من الصناعات النافعة، ومن الاستعانة بها على قتال الأعداء وجهاد الأعداء، فيتعلم شؤون الزراعة، ويتعلم شؤون استخراج خزائن الأرض: من البترول والمعادن وغير ذلك؛ حتى تستغني عن أعداء الله، وتستخرج من بطون الأرض ومن خزائن الأرض ما ينفعها. [هـ].

2.17 أمثلة حسابية من القرآن والسنة

2.17.1 مكوث أهل الكهف

يقول جل جلاله عن مدة مكوث أهل الكهف في سورة الكهف: وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٢٥﴾ الكهف. فقد يسأل السائل لماذا جاء النص مع "وازدادوا تسعا" وهذا فيه الحكمة البالغة منه سبحانه. فن المعلوم أن الرسول ﷺ كان مخاطبا لأهل الكتاب وأن أهل الكتاب يستعملون السنوات الشمسية وأما المسلمين فهم يستعملون السنوات القمرية. فالمطلوب هنا حساب المدة بعدد السنوات الشمسية ليوافق ذلك حساب أهل الكتاب وتحويل ذلك إلى عدد السنوات القمرية الذي يستعمله المسلمين في تاريخهم. وبالحساب الصحيح يتبين الأتي:

عدد الأيام في السنة القمرية = 354 يوم

عدد الأيام في السنة الشمسية = 365 يوم

وبهذا يكون الفارق في عدد الأيام بينهما = 11 يوم

وعليه يكون في المئة سنة شمسية 36500 يوم وفي المئة سنة قمرية 35400 يوم. الفارق هو 1100 يوم. بتقسيم هذا الفارق على 354 نجد أن الفارق هو 3 سنوات قمرية. وبهذا يعلم أن لكل 100 سنة شمسية توجد 103 سنة قمرية تقريبا. وعليه يكون في كل 300 سنة شمسية هناك 309 سنة قمرية. ويكون الفارق هو فقط تسعة سنوات ولهذا جاء لفظ "وازدادوا تسعا" للبيان فهي 300 سنة شمسية بالنسبة لأهل الكتاب وزيادة عليها 9 سنوات لتوافق بذلك 309 سنة قمرية بالنسبة للمسلمين. وهذا ما يعرف في علم الحساب بوحدة قياس الأعداد. فبالحساب يمكن تحويل وحدة قياس من نوع إلى آخر. وفي هذا المثال كانت وحدة القياس هي الزمن وبه علم التحويل من القياس الشمسي إلى القياس

القمرية والخلاف بينهما لا يعني التعارض بل لكل وحدة قياس حسابها الخاص. وهذا فيه بيان حكمة الله وعلوه سبحانه وأن كلامه هو الحق لهذا جاء بعد هذه الآية قوله تعالى: قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا^ط لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ الكهف. ويقول ابن كثير في تفسير الآية التي ذكر فيها عدد السنوات: هذا خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم، منذ أرقدهم الله إلى أن بعثهم وأثر عليهم أهل ذلك الزمان، وأنه كان مقداره ثلاثمائة سنة وتسع سنين بالهلالية، وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين؛ فلهذا قال بعد الثلاثمائة: (وازدادوا تسعا) [هـ].

2.17.2 مكوث الوحي من عيسى عليه السلام إلى محمد ﷺ

وفي مثال آخر يشه المثال السابق في تفسير قوله تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ^ط فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ^ق وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ المائدة. يقول ابن كثير في تفسيره عن هذا: (على فترة من الرسل) أي: بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى ابن مريم. وهو أنه ستمائة سنة. ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة. ولا منافاة بينهما، فإن القائل الأول أراد ستمائة سنة شمسية، والآخر أراد قرية، وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين؛ ولهذا قال تعالى في قصة أصحاب الكهف: وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ الكهف. أي: قرية، لتكامل الثلاثمائة الشمسية التي كانت معلومة لأهل الكتاب [هـ]. ولهذا فقد فهم المفسرين رحمهم الله بالقران الفرق بين عدد السنوات الشمسية والقمرية كما تقدم. وفيه أيضا عناية السلف رحمهم الله بالحساب وحساب الزمن وتحويله من وحدة

قياس إلى أخرى.

2.17.3 عدد ساعات اليوم والليلة

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، لَا يُوجَدُ فِيهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ فَاتِمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ. (أبو داود (1048)، والنسائي (1389) وصححه الألباني). وفيه أن النبي ﷺ علم أن عدد ساعات اليوم بالمتوسط هو 12 ساعة. فإن كان لعدد ساعات الليلة مثل ذلك كانت عدد ساعات اليوم والليلة معا 24 ساعة. وهذا ما اعتاد عليه الناس في زماننا من حساب عدد ساعات اليوم والليلة. فإن ساعات اليوم والليلة تطول وتقصر خلال العام وتتغير بتغير المكان ولكن بالإجمال فهي 24 ساعة. وهذا فيه دليل نبوته ﷺ ففي زمانه لم يكن هناك الساعات الدقيقة التي نعرفها اليوم.

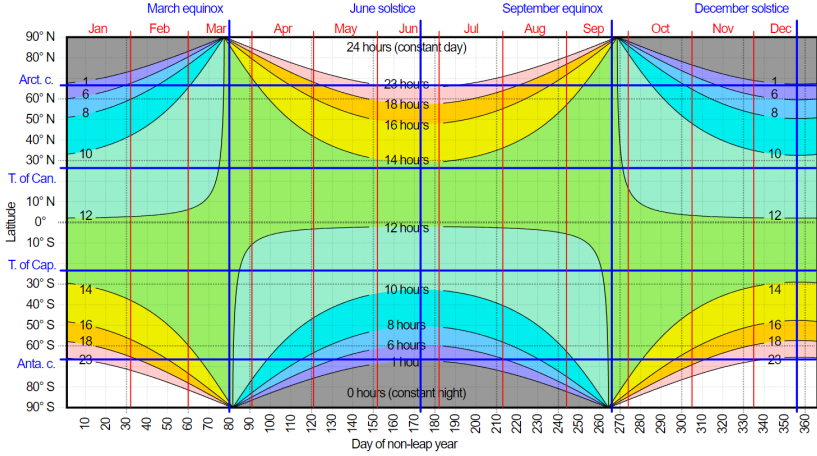
وعدد ساعات اليوم والليل تضبط بالتاريخ الشمسي كما موضع في

وكما موضع أن الأماكن القريبة من القطبين يغيب فيها النهار أو الليل خلال 24 ساعة وبهذا يمضي اليوم كاملا ويتعذر ضبط أوقات الصلاة بالطريقة المعتادة. وقد رخص أهل العلم على جواز ضبط وقت الصلاة فيها كما اعتاد الناس في سائر أوقات السنة أو قياسا على غيرها من الأماكن. فَعَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكَلَابِيِّ، قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ فَقَالَ "إِنْ يَخْرُجَ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجَ فَلَيْسَ فِيكُمْ فَأَمْرُؤُ حَاجِبُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَن أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاحِ سُورَةِ الْكَهْفِ فَإِنَّهَا جَوَارُكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ". قُلْنَا وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ "أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمًا كَسَنَةٍ وَيَوْمًا كَشْهَرٍ وَيَوْمًا كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ". فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ قَالَ "لَا أَقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ ثُمَّ نَزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عِنْدَ

الْمَنَارَةُ الْبَيْضَاءُ شَرْقِيٍّ دِمَشْقَ فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابٍ لَدِ فَيَقْتُلُهُ (صححه الألباني). وفي هذا يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: الواجب على سكان هذه المناطق التي يطول فيها النهار أو الليل أن يصلوا الصلوات الخمس بالتقدير إذا لم يكن لديهم زوال ولا غروب لمدة أربع وعشرين ساعة، كما صح ذلك عن النبي ﷺ في حديث الثواس بن سمعان، المخرج في صحيح مسلم في يوم الدجال الذي كسنة، سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: اقدروا له قدره. وهكذا حكم اليوم الثاني من أيام الدجال، وهو اليوم الذي كشره، وهكذا اليوم الذي كأسيوع. أما المكان الذي يقصر فيه الليل ويطول فيه النهار أو العكس في أربع وعشرين ساعة فخكمه واضح: يصلون فيه كسائر الأيام، ولو قصر الليل جدا أو النهار؛ لعموم الأدلة، والله ولي التوفيق [هـ]. وهذا فيه أهمية الحساب وتسجيل بيانات أوقات الصلاة حتى يمكن تقديرها تقديرا صحيحا بقدر المستطاع إن تعذر معرفة ذلك من بغياب الليل أو النهار خلال 24 ساعة كما في فتنة المسيح الدجال.

2.17.4 نسبية الوقت في القرآن

قال تعالى في كتابه: وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ الحج. ويقول ابن كثير في تفسيره: هو تعالى لا يعجل، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه. وهذا فيه الدليل على أن حساب الوقت نسبي ويختلف كما أخبر الله سبحانه وتعالى في أكثر من موضع. ومن ذلك قوله تعالى: يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥٥﴾ السجدة. وأيضا قوله تعالى: تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤٤﴾ المعارج. ففي هذه الآيات الدليل الواضح على أن الوقت لا يجري بنفس السرعة فبين الله تعالى ذلك بالنسبة لوقتنا في قوله "مما تعدون".



شكل 1.2: عدد ساعات النهار بحسب خطوط العرض

ويمكن توضيح ذلك المعنى عن طريق حساب فارق الوقت بين الجنة والأرض. فإن حملنا معنى "عند ربك" أي في الجنة كما في قوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ آل عمران، فهذا يكون لكل يوم واحد في الجنة ألف سنة مما نعد في الأرض كما يلي:

$$1 \text{ يوم في الجنة} = 1000 \text{ سنة في الأرض}$$

نبدأ أولاً بتحويل اليوم الواحد إلى ثواني. فإن علمنا أن اليوم به 12 ساعة بالمتوسط (اليوم واللييلة معا 24 ساعة) كما في المثال السابق، وأن الساعة بها 60 دقيقة وأن الدقيقة بها 60 ثانية، عليه يكون اليوم الواحد به 43200 ثانية. ثانياً نحسب عدد الأيام في كل 1000 سنة. فإن إستخدمنا عدد الأيام في السنة القمرية يكون عدد الأيام الكلي في كل 1000 سنة قرية 354000 يوم. وإبقاء الميزان وإستبدال وحدات القياس يكون الناتج:

43200 ثانية في الجنة = 354000 يوما في الأرض

فإن قسمنا عدد الثواني في الجنة على عدد الأيام يكون:

1 ثانية في الجنة = 8.1944 يوما في الأرض

وعليه بمرور ثانية واحدة في الجنة تمر علينا 8 أيام و4 ساعات و39 دقيقة و22 ثانية في الأرض مما نعد ونحسب. وهذا لا يجب أن يفهم أن الوقت في الجنة بطيء جدا بالنسبة لمن هو في الجنة ولكن فقط بالنسبة للأرض. فالوقت هو نفسه كوحدة قياس ولكن قياس نفس القيمة في نطاق مختلف لا يلزم التساوي وإنما كل قياس يرجع لنطاقه الذي قيس فيه.

وهذه الظاهرة تم إكتشافها حديثا في بداية القرن العشرين على يدي العالم الفيزيائي ألبرت آشتاين وتعرف بظاهرة التمدد الزمني وهي جزء من النظرية النسبية. وهي ظاهرة مثبتة ويمكن حسابها بدقة باستخدام مفاهيم معروفة وأهمها ثبات سرعة الضوء في الفراغ. وهي ظاهرة مهمة جدا وتستخدم لموائمة أنظمة الإتصال وأنظمة تحديد الموقع مع الأقمار الصناعية. بدون الأخذ بعين الإعتبار ظاهرة التمدد الزمني كل هذه الأنظمة تتعطل.

ومن المثبت أيضا في النظرية النسبية أن مرور الوقت نسبي وهو يبطأ مع زيادة السرعة أو الجاذبية. ومن المعلوم أن الجاذبية تزداد مع زيادة كتلة الكواكب. وبهذا يعلم أن الوقت على القمر يمر أسرع بقليل بالنسبة للأرض بينما الوقت على الأرض يمر أسرع بالنسبة للشمس. وهذا الفارق يزيد من زيادة الفرق في الحجم. وعليه فإن مرور الوقت في الجنة أبطأ بكثير من الأرض دل على عظم الجنة بالنسبة للأرض. وهذا يتوافق مع قوله تعالى: وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ آل عمران.

2.17.5 كتب المقادير الخلاق

- إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمِائَةِ أَلْفِ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ

وفيه أن القلم واللوحي المحفوظ والعرش والماء خلقا قبل السماوات والأرض بمِائَةِ أَلْفِ سَنَةٍ وهي نفس الفترة

2.17.6 ظاهرة الغلاف الجوي

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ يس.

2.17.7 ظاهرة تعاقب الليل والنهار

تَوَلَّجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرَزُّقُ مِنَ نَشَأٍ بَغِيرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ آل عمران.

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ النور.

2.17.8 ظاهرة توسع الكون

من أعظم بلايا هذا الزمان هو تصوير ووضع العلم في إطار منفصل عن الايمان بل والاسوأ في إطار انكار وجود الخالق وهذا والله من اعظم الضلال والجهل.

بينما في الحقيقة العلم هو الطريق للتأمل في آيات الله الكونية والتي جميعها تنادي بوجود الخالق وقدرته وعظمته. فكل ما نراه من تناسق في هذا الكون من ليل ونهار وشمس وقمر ومطر وشجر وحجر ودواب كلها من آيات الله الكونية.

ومن اعظم آيات الله الكونية أن الله عز وجل لم يجعل السماء ثابتة بل جعلها تتوسع فلو كانت ثابتة لقال الكثير ان هذا الكون ليس له بداية وهي ثابتة ازلا وبهذا يتكرون وجود الخالق. ولكن الله جل جلاله جعل السماء تتمدد ليكون هذا التمدد دليلا على ان اطراف السماء كلها جاءت من نقطة واحدة وهذا هو الدليل القاطع على بداية الكون.

الإقرار بأن هذا الكون له بداية كما تشير كل الأدلة والمفاهيم التي توصل لها البشر في القرن العشرين ومنها ما جاء في نظرية الانفجار العظيم يبطل كل ما تم طرحه من أصحاب النظريات الإلحادية إذا يتعذر على شيء له بداية أن يبدأ من لا شيء.

قال تعالى: **أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا^ط وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ [الأنبياء : 30]**

فقد اتفق المفسرون على ان معنى هذه الآية ان السماوات والأرض كانتا ملتصقتين وهذا ما يتوافق مع فهمنا اليوم بناء على المشاهدة أن الكون بدأ من نقطة واحدة.

فقد جاء في تفسير القرطبي ان ابن عباس والحسن وعطاء والضحاك وقادة قالوا في تفسير هذه الآية: يعني أنها كانت شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء. وكذلك قال كعب : خلق الله

السموات والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتحها بها ، وجعل السموات سبعا والأرضين سبعا. وقول ثان قاله مجاهد والسدي وأبو صالح : كانت السموات مؤتلفة طبقة واحدة ففتقتها فجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرضين كانت مرتبة طبقة واحدة ففتقتها فجعلها سبعا وقال الطبري في تفسير هذه الآيات: أو لم ينظر هؤلاء الذي كفروا بالله بأبصار قلوبهم، فيروا بها، ويعلموا أن السموات والأرض كانتا رتقا: يقول: ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين، وقد جاء في تفسير ابن كثير:

ألم يروا (أن السموات والأرض كانتا رتقا) أي: كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصق متراكم، بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ، ففتق هذه من هذه . فجعل السموات سبعا، والأرض سبعا، وفصل بين سماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمرت السماء وأنتبت الأرض؛ ولهذا قال: (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) أي : وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئا فشيئا عيانا ، وذلك دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء

ويقول جل جلاله: وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ [الذاريات : 47]

وقد جاء في تفسير السعدي رحمه الله: بِأَيْدٍ أي: بقوة وقدرة عظيمة وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ لأرجائها وأنحاءها،

2.17.9 ظاهرة المجال المغنطيسي

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ الأنبياء..

الحكم الرشيد

3.1 مقدمة

قال تعالى:

يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ [ص: 26]

تفسير ابن كثير:

هذه وصية من الله - عز وجل - لولاءة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلووا عن سبيله وقد تواعد [الله] تعالى من ضل عن سبيله ، وتناسى يوم الحساب ، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد ، حدثنا مروان بن جناح ، حدثني إبراهيم أبو زرعة - وكان قد قرأ الكتاب - أن الوليد بن عبد الملك قال له : أيحاسب الخليفة فإنك قد قرأت الكتاب الأول ، وقرأت القرآن وفقهت ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين أقول ؟ قال : قل

في أمان . قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود ؟ إن الله - عز وجل - جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون) الآية .

وقال عكرمة : (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) هذا من المقدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا .

وقال السدي : لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب .
وهذا القول أمشى على ظاهر الآية فالله أعلم .

3.2 أركان الحكم الرشيد

يقام الحكم الرشيد على ثلاثة أركان وهي: (1) إقامة الحق بالعلم الصحيح، (2) إقامة الميزان الشرعي بالعدل والقسط، (3) الأخذ بأسباب القوى كالحديد وما يلزم ذلك من علوم كالحساب والطب وغيرها من العلوم التي تكمن المسلمين من دحر الأعداء ونشر الحق ونصرته. فهذا كله من نصر الله ورسله وقد وعد سبحانه بنصر من ينصره كما في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ محمد.

وبهذه الأمور الثلاثة التي يبنى عليها الحكم الرشيد يكون التمكن الذي وعد الله به كما ذكر سبحانه في قصة ذي القرنين في قوله تعالى: إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ الكهف. وقد بين معنى ذلك الشيخ العثيمين رحمه الله أن معنى "من كل شيء سببا" أن الله أتاه كل الأسباب التي بها يكون التمكن في الأرض من قوة السلطة وتمام الملك فانتفع بما أعطاه الله

من الأسباب. فهذا التمكن جاء بتسخير الله وهذا لأن ذي القرنين أخذ بالأسباب التي أعطاها الله له مع إقامة الحق وإقامة العدل كما في قوله تعالى: قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَّكَرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ الكهف. وقد جاء في تفسير السعدي رحمه الله أن هذا يدل على كونه من الملوكة الصالحين الأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله [هـ]. وقد أثبت سبحانه له التمكن والرشد لما له من الخبرة في إتباع الأسباب كما في قوله تعالى: كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ الكهف. ومعنى ذلك أي: أحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة كما جاء في تفسير السعدي. ومن ذلك أنه كان لديه من الأسباب العلية ما يمكنه من فهم العديد من العلوم التي تمكنه من الانتقال إلى مشارق الأرض ومغاربها وفهم اللغات الأخرى، ومن ذلك ما فقه به ألسنة أولئك القوم (الذين لا يفقهون قولاً) الذين اشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج [١] إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجر، وشكر ربه على تمكنه واقتداره [هـ]. فلم يطلب منهم إلا أن يعينوه على حمل زير أي قطع الحديد ووضعه في مكانه بين الجبلين وإشعال النار له بالمنافخ الشديدة والآلات العظيمة لإذابة النحاس حتى يكون سائلا فيصبه عليها ليستحكم السد استحكما هائلا يعجز يأجوج ومأجوج على الصعود فوقه فضلا عن ثقبه.

وقد علم ذا القرنين أن كل ذلك من فضل الله عليه حيث قال تعالى: قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ الكهف. وما أجمل ما أورده السعدي في تفسيره هذه الآية حيث قال: فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليا

وقال: هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي أَي: من فضله وإحسانه عليّ، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترفهم بنعمة الله كما قال سليمان عليه السلام، لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، قال: قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ التل. بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار، تزيدهم شرا وبطرا. كما قال قارون، لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، قال: قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي الْقَصَص.

وقد علم أيضا ذا القرنين بما لديه من الخبرة بأسباب الحديد وما قد يطرأ عليه من صددٍ وتآكل بعد زمن أنه سيأتي يوم وينهار هذا السد العظيم ويخرج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان كما في قوله تعالى: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ الكهف. وجاء في تفسير السعده رحمه الله أن قوله: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي أَي: لخروج يأجوج ومأجوج جَعَلَهُ أَي: ذلك السد المحكم المتقن دَكَّاءُ أَي: دكه فانهدم، واستوى هو والأرض وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا [هـ]. ولهذا فقد أخبر سبحانه بوقوع ذلك لا محالة في قوله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ الأنبياء. وقد قال السعدي رحمه الله: أنه في آخر الزمان، ينفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة والوصف، الذي ذكره الله من كل من مكان مرتفع، وهو الحذب ينسلون أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما لبذواتهم، وإما لما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلمون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم.

وكل ما تقدم فيه أن ذا القرنين لم يكن فقط يأخذ بالأسباب وإنما كان يقيم الحق والعدل مع الأخذ بالأسباب والعلم بها وذلك من فضل الله عليه وتوفيقه له رحمه الله تعالى ورضي عنه. وقد

قال عنه الشيخ ابن باز رحمه الله: ذو القرنين ملك عظيم صاحب خير، وإحسان، وإصلاح، واختلف الناس في نبوته، والمشهور أنه ملك صالح. وفي موضع آخر رجع الشيخ ابن باز رحمه الله أن ذا القرنين نبيا من الأنبياء لأنه كان يتبع أمر الله في الأرض وظاهر الآيات أنه كان يتلقى هذه الأوامر والتوجيهات من ربه جل جلاله وهذا شأن النبي.

3.3 الحكم الرشيد في زمن الصحابة

البيان الواضح لسنين الخلافة الراشدة

قال صلى الله عليه وسلم

خَلَائِفَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً ، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمَلِكَ مَنْ يَشَاءُ

الراوي : سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع

| الصفحة أو الرقم : 3257 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

قال سعيد: قال لي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ: أَبُو بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَعُمَرُ عَشْرًا، وَعِثْمَانُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَعَلِيٌّ كَذَا، قَالَ سَعِيدٌ: قُلْتُ لِسَفِينَةَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَكُنْ بِخَلِيفَةٍ، قَالَ: كَذَبَتْ أَسْتَاهُ بَنِي الزَّرْقَاءِ - يَعْنِي: بَنِي مَرْوَانَ - الرَّاوي : سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم | المحدث : الألباني

| المصدر : صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: 4646 | خلاصة حكم المحدث : حسن

وجاء في تفسير ابن كثير وجاء في تفسير القرطبي ان الشعبي قال: كان بين عمر وأبي خصومة ، فتقاضيا إلى زيد بن ثابت ، فلما دخلا عليه أشار لعمر إلى وسادته ، فقال عمر : هذا أول جورك ، أجلسني وإياه مجلسا واحدا ، فجلسا بين يديه .

قال أبو بكر ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا أيُّها النَّاسُ ، إنَّكم تقرأون هذه الآيةَ ، وتضعونها على غير موضعها عليكم أنفسكم لا يضرُّكم من ضلَّ إذا هتديتم وإنَّا سمعنا النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ : إنَّ النَّاسَ إذا رأوا الظَّالِمَ فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم اللهُ بعقابٍ وإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ : ما من قومٍ يعملُ فيهم بالمعاصي ، ثمَّ يَقْدِرُونَ على أن يغيروا ، ثمَّ لا يغيروا إلَّا يوشِكُ أن يعمهم اللهُ منه بعقابٍ الراوي : أبو بكر الصديق | الحدث : الألباني | المصدر : صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: 4338 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

3.4 الحساب في زمن الحكم الرشيد

البحث والعناية بعلم الحساب هو غاية جليلة ومهمة عظيمة أعتنى بها المسلمون اللاحقون في زمن الخليفة الراشد هارون الرشيد التي أسس دار الحكمة في بغداد العراق حتى أصبح المسلمين في ذلك الوقت روادا في علم الحساب والذي كان مفتاحا لهم لشتى العلوم الأخرى حتى عرف ذلك الزمان بالعصر الإسلامي الذهبي. ومن أبرز من بحث وألف في علم الحساب هو العالم الفذ محمد بن موسى الخوارزمي رحمه الله تعالى والذي وصل صيته أقطاب الأرض حتى دخل أسمه معاجم وقواميس كافة اللغات الأخرى. فاللوغرثميات جاءت من الترجمة اللاتينية لإسمه وهو ما عرف عند العرب المتأخرين بالخوارزميات. وهذا مفهوم يبنى عليه كافة الحسابات المركبة والمعقدة التي نراها اليوم من أنظمة الحساب والمنطق بشتى أنواعها بما فيها أنظمة الصواريخ والطيران وحتى أنظمة الذكاء الاصطناعي. وقد ألف الخوارزمي كتابه "المختصر في الجبر والمقابلة" وكان هذا الكتاب نافعا للمسلمين وغيرهم وهو أساس تقدم البشرية في شتى المجالات إلى يومنا هذا. ولهذا سمي علم الموازنة والمقابلة بعلم "الجبر" كما سماه

الخوارزمي بذلك وتمت اضافة كلمة "الجبر" أيضا إلى كافة معاجم اللغات الأخرى. ويعتبر الخوارزمي إلى يومنا هو مؤسس علم الجبر والحساب والخوارزميات ومن أهم علماء الحساب في تاريخ البشرية.

وللأسف فقد غاب وغيب على أغلب المسلمين في زماننا هذا أهمية ميراث الخوارزمي في علم الجبر والحساب. وهو ميراث حري بنا جمع شتاته وإعادة بناء أركانه لتقوم الأمة بالميزان الذي أمرنا الله به. فقد جهل الكثير من المسلمين ميراث الخوارزمي حتى بخس قدره ونسي علمه فكان بين مفراط أو مدلس. ومن ذلك ضياع كتابه في الجبر والمقابلة من المسلمين حتى تمت طباعة أول نسخة عربية منه في عام 1939م (1357هـ) بناء على النسخة الأصلية الوحيدة التي سرقت من مصر ونقلت إلى بريطانيا والتي يرجع تاريخها إلى عام 1439م (843هـ) أي بعد وفاة الخوارزمي بحوالي 500 عام شمسية. ليرجع لنا كتاب الخوارزمي بعد حوالي ألف عام من تأليفه. وفي كل هذه الأعوام ترجم كتابه إلى شتى اللغات ومنها الإنجليزية والألمانية والفرنسية وأصبحت مرجعا لجميع الحضارات الأوروبية وغيرها. ليتفاجأ المسلمون بوجود كلمات عربية في هذه الثقافات ومنها algorithms والتي تعني الخوارزميات وكلمة algebra وهي الجبر في معجم اللغة الإنجليزية على سبيل المثال لا الحصر.

ومن التدليس الذي تعرض له الخوارزمي في تقديم كتابه هو نسبة عمله إلى الحضارة المصرية في طرح مخالف للطرح الذي وضعه الخوارزمي في كتابه. وهذا ليس إلا إحقاقا للحق ولا يجب أن يحمل هذا على محمل الإستنقاص لمن نقل هذا العمل لنا تقدما وتعليقا فجزاهم الله خير الجزاء. ومن التدليس أيضا طرح كتابه في الحساب مجردا من الغاية التي كتب لها ومنه عدم ذكر سبب تأليف كتابه في الجبر والذي كان في الأساس سعيا منه رحمه الله لتحقيق الحكم الرشيد بناء على الحساب الصحيح في الميراث والبيع والشراء والكرء وما يتعلق بذلك من حساب المسافات والأرض. ولتبتين طرح

الخوارزمي نضع مقدمة كتابه رحمه الله والتي جاء فيها:¹

¹ مع تصرف يسير من حذف لكلمات التي تخالف السياق وفي الغالب قد يظن انها أخطاء خلال النسخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب وضعه محمد بن موسى الخوارزمي افتتحه بأن قال:

الحمد لله على نعمه بما هو أهله من محامده التي بأداء ما افترض منها على من يعبده من خلقه يقع اسم الشكر ويستوجب المزيد إقرارا بروبوته وتذلا لعزته وخشوعا لعظمته. بعث محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالنبوة على حين فترة من الرسل نورا من الحق ودروس من الهدي فبصر به من العمى واستنقذ به من الهلكة وكثر به بعد قلة وألف به بعد الشتات.

تبارك الله ربنا وتعالى جده وتقديست أسمائه ولا إله غيره، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم. ولم تزل العلماء في الأزمنة الخالية والأمم الماضية يكتبون الكتب مما يصنفون من صنوف العلم ووجوه الحكمة نظرا لمن بعدهم واحتسابا للأجر بقدر الطاقة ورجاء أن يلحقهم من أجر ذلك وذخره وذكره ويبقى لهم من لسان صدق ما يصغر في جنبه كثير مما كانوا يتكفلونه من المؤونة ويحملونه على أنفسهم من المشقة في كشف أسرار العلم وغامضه. إما رجل سبق إلى ما لم يكن مستخرجا قبله فوريته من بعده. وإما رجل شرح مما أبقي الأولون ما كان مستغلقا فأوضح طريقه وسهل مسلكه وقرب مأخذه. وإما رجل وجد في بعض الكتب خلا فلا شعثه وأقام أوده وأحسن الظن بصاحبه غير راد عليه ولا مفتخر بذلك من فعل نفسه.

وقد شجعتني ما فضل الله به الامام المأمون أمير المؤمنين مع الخلافة التي حاز له إرثها وأكرمه بلباسها وحلاه بزينتها. من الرغبة في الأدب وتقريب أهله وإدنائهم وبسط كنفه لهم ومعونته إياهم على إيضاح ما كان مستبهما وتسهيل ما كان مستوعرا. على أن ألفت من كتاب الجبر والمقابلة كتابا مختصرا حاصرا للطيف الحساب وجليله لما يلزم الناس من الحاجة إليه في مواريثهم ووصاياهم وفي مقاسمتهم وأحكامهم وتجارتهم. وفي جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحة الأرضين وكرى الأنهار والهندسة وغير ذلك من وجوه وفنونه. مقدما لحسن النية فيه وراجيا لأن ينزله أهل الأدب بفضل ما استودعوا من نعم الله تعالى وجليل آلائه وجميل بلائه عندهم منزلة وبالله توفيتي في هذا لا في غيره عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وصلى الله على جميع الأنبياء والمرسلين.

وعليه يلزم أن الخوارزمي رحمه الله إنما ألف كتابه هذا لتوضيح علم الحساب الصحيح الذي يحتاج إليه الناس في أمور دينهم ودنياهم. فقد افتتح الخوارزمي رحمه الله كتابه بالبسملة متبعا سنة الأنبياء في ذلك. وكان رحمه الله حريصا وراجيا بأن يعتنى أهل الأدب بهذا الكتاب ويعطونه حقه وينزلونه منزلته لما علم ما فيه من أسس وقواعد لا غنى عنها في علم الحساب الصحيح. وختم مقدمته سائلا الله التوفيق في ذلك ومتوكلا عليه. وبهذا يتبين حسن مقصد الخوارزمي من تأليف كتابه فنسأل الله العلي العظيم أن يرحمه رحمة واسعة وأن يرفع قدره في الجنة وأن يجزيه عنا خير الجزاء.

فبدأوا بالعناية بعلم الحساب وجمع مؤلفاته من كافة أقطاب الدنيا فعكفوا على ترجمتها حتى فهموها وعقلوها وعرفوا ما شابهها من خطأ ونقصان. فأسسوا نظام الأرقام الذي نعرفه اليوم فقسموا الأرقام إلى أرقام فردية وأسسوا علم الجبر وحساب المثلثات وغيرها من علوم الحساب بشكل لم تعرفه البشرية من قبل. وكان ذلك سببا في تحقيق الحكم الرشيد في المعاملات والبيع والشراء والكراء. فكان علم الحساب مفتاحا في تطور المسلمين في شتى مجالات الدنيا ومنها مجال الهندسة والطب في العصر الإسلامي الذهبي.

سيرة هارون الرشيد المخيدان

الفوزان

كلام الفوزان في المأمون غرر به المعتزلة

ومن الحكم الرشيد مصالحة الكفار لدرء المفاسد كما في العهد المكي وفيه أيضا ان النجاشي لم يكن مسلم ولا يظلم عنده أحد فهو حقق العدل

3.5 عودة الحكم الرشيد في آخر الزمان

يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمانِ خَلِيفَةُ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلَا يَعُدُّهُ. الراوي : أبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: 2913 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]
 مِنْ خُلَفَائِكُمْ خَلِيفَةٌ يَحْتَوِ الْمَالَ حَتَّى، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا. وفي رِوَايَةِ ابْنِ جُرَّجٍ: يَحْتَوِ الْمَالَ. الراوي : أبو سعيد الخدري | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم : 2914 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

3.6 معادلات

فيما يلي مثال على معادلة رياضية:

$$E = mc^2 \quad (1)$$

ومثال آخر على معادلة معقدة:

$$\int_0^{\infty} e^{-x^2} dx = \frac{\sqrt{\pi}}{2} \quad (2)$$

3.7 نص الفصل الأول - الصفحة الثانية

هذه الصفحة الثانية للفصل الأول تحتوي على نص إضافي لتوضيح كيفية تنسيق النصوص في كتب اللاتكس باللغة العربية.

3.8 نص الفصل الأول - الصفحة الثالثة

هذه الصفحة الثالثة للفصل الأول تحتوي على المزيد من النصوص لاختبار تقسيم الصفحات وظهور الرؤوس والأقدام بشكل صحيح في النصوص العربية.

ميزان الله

4.1 مقدمة

هذه المقدمة للفصل الأول.

4.2 فضل الميزان

فالميزان يوضع يوم القيامة بعد الصراط: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّبَّاحِ الْهَاشِمِيُّ، حَدَّثَنَا بَدَلُ بْنُ الْمُحَبَّرِ، حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ مَيْمُونٍ الْأَنْصَارِيُّ أَبُو الْخَطَّابِ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ "أَنَا فَاعِلٌ" ز قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ قَالَ "أَطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ" ز قَالَ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ قَالَ "فَأَطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ" ز قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ قَالَ "فَأَطْلُبْنِي عِنْدَ الْخَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ" ز قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ

وفي هذا الميزان من من شئ أثقل فيه من حسن الخلق كما ذكر الرسول:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا الْأَشْعَثُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ " مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا " ز فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتُ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَبِحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَبِحَ أَبُو بَكْرٍ وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَبِحَ عُمَرُ ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ فَرَأَيْنَا الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ، قَالَ سَمِعْتُ بَسْرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ، يَقُولُ حَدَّثَنِي النَّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ الْكَلَابِيَّ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ " مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَرَاغَهُ " ز وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ " يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ " ز قَالَ " وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَرْفَعُ أَهْوَاءًا وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " ز

التفكر في آيات الله الكونية

5.1 مقدمة

هذه المقدمة للفصل الأول.

5.2 التفكر في آيات الله الكونية

التفكر في آيات الله الكونية هو عبادة عظيمة حث الله عز وجل عليها في كتابه في غير موضع. منها ما قرن مع العدد والحساب كما في قوله تعالى: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّبَتَّغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ الإسراء. وفي قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِّتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ يونس.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا

باطلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ آل عمران.

إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاختِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ المجاثية.

التفكر في كتاب الله: لو أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ الْحَشْرِ. بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ النحل.

التفكر في السموات والأرض وَخَرَّ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ المجاثية.

التفكر في الأرض، والجبال، والأنهار، والثمار، والأزواج، والليل والنهار: وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ الرعد.

التفكر في النحل:

ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ النحل.

التفكر في الحياة الدنيا:

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ يونس.

التفكر في الزرع والزيتون والنخيل والأعناب، وكل الثمرات:

يُنَبِّتْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ^ط

﴿١١﴾ النحل.

التفكر في الزواج:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ الروم.

التفكر في الموت:

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ الزمر.

النبهي

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ الحج.

الحساب الكوني

6.1 مقدمة

خلق الله كل شئ بقدر معلوم ووضع الميزان فجعل هذا الكون موزونا ومتناسقا سبحانه. ومن حكمته أنه سبحانه فطر الناس على فهم ذلك الميزان وجعل لهم كل ما يحتاجونه في ذلك من عقل وسمع وبصر. ومن فضله علي الناس أنه أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتاب وما فرط فيه من شئ. ومن ذلك أنه أرشد سبحانه التأمل في آياته الكونية لتعلم العدد والحساب. ولهذا فإن أفضل طريقة لفهم علم الحساب هو التأمل والتفكر في الظواهر الطبيعية التي خلقها الله ومحاولة حسابها. فهي المرجع لنا حتى نتحقق من صحة وسلامة الحساب. وهذا النهج هو نهج القرآن وهو أفضل الطرق وأحسنها. ويمكن دراسة علم الحساب مجردا من أي تطبيقات وهذا أيضا نهج معروف. ولكن الجمع بين علم الفيزياء والحساب لمحاولة محاكاة الظواهر الطبيعية من أفضل الطرق لتطوير علم الحساب. وهذا معروف حيث تفوق الباحثين الذين جمعوا بين الحساب والفيزياء مثل نيوتن وأشتاين وفورير على غيرهم ممن درس علم الرياضيات المجرد فكانوا روادا في ذلك.

ولهذا يكون الطريق للبحث وفهم علم الحساب كما يلي:

1. التفكير في آيات الله الكونية والتأمل فيها ومحاولة فهمها وربطها ببعضها البعض على وجه الإجمال.
2. حساب هذه الظواهر على إنفراد ومع التدرج في التعقيد حتى يمكن حسابها بالدقة المطلوبة ومن عدة طرق وجوانب.
3. الجمع بين الظواهر المترابطة ومحاولة فهم ترابطها وتأثيرها على بعضها البعض وحساب ذلك لبناء فهم أكثر شمولاً ودقة.
4. تلخيص القواعد الحسابية بناء على ما سبق وتطبيقها في فهم ظواهر أخرى أكثر تعقيداً أو تصحيح الحساب فيما ينفع الناس في أمور دينهم ودنياهم.

6.2 جداول

فيما يلي مثال على جدول:

العنوان 1	العنوان 2	العنوان 3
الخلية 1	الخلية 2	الخلية 3
الخلية 4	الخلية 5	الخلية 6

جدول 1.6: مثال على جدول

6.3 مراجع باستخدام BibTeX

لإضافة مراجع باستخدام BibTeX، يمكن استخدام الملف التالي: `references.bib`

```
@book{example,
```

```
author = "المؤلف",
```

```
title = "عنوان الكتاب",
```

```
publisher = "دار النشر",
```

```
year = "السنة"
```

```
}
```

ثم تضمين المراجع في المستند الرئيسي:

```
\bibliographystyle{plain}
```

```
\bibliography{references}
```

6.4 نص الفصل الثاني - الصفحة الثانية

هذه الصفحة الثانية للفصل الثاني تحتوي على نص إضافي لاختبار تقسيم الصفحات وظهور الرؤوس والأقدام بشكل صحيح في النصوص العربية.

6.5 نص الفصل الثاني - الصفحة الثالثة

هذه الصفحة الثالثة للفصل الثاني تحتوي على المزيد من النصوص لاختبار تقسيم الصفحات وظهور الرؤوس والأقدام بشكل صحيح في النصوص العربية.

الذكاء الاصطناعي

7.1 مقدمة

7.2 المعرفة والوعي والإدراك

هناك نقاش مهم يتعلق بموضوع ما إذا كانت نماذج الذكاء الاصطناعي العام ستكون قادرة على المعرفة والإدراك والوعي في المستقبل القريب (تقريباً مع حلول 2030). وحيث أن أنه على عدة أمور وخاصة للمسلمين.

أغلب الباحثين في مجال الذكاء الاصطناعي يعتقدون أن نماذج الذكاء الاصطناعي العام والتي ستكون لها قدرات معرفية تتجاوز قدرة الإنسان في جميع المجالات، ستكون قادرة على الإدراك وسيكون لها وعي. وبطريقة غير مباشرة هذا ما هو إلا مقدمة للقول بأن هذه النماذج لها أرواح مثلها مثل البشر.

بالمختصر هذا أمر خطير يمس عقيدة المسلمين، والشرح كالآتي.

أولا يجب التنويه لأمر هام جدا ألا وهو أن المعرفة والإدراك والوعي كلها تتطلب مشاعر وهي أمور تختص بها الروح والتي هي من أمر الله التي بها يبث الله الحياة في خلقه. وهذا معروف بما نعلمه عن الروح بما دلت عليه البراهين في الكتاب والسنة من أن الروح تنفخ في الجنين في بطن أمه وتصعد إلى السماء وتهبط وتقبض في النوم وترسل وتعذب في القبر وتضرب ضربة يسمعها كل شيء إلا الثقلين. فالأنس والجن والحيوانات كلها ذات أرواح وتكون حية فقط عند وجود الروح في الجسد وتموت بمفارقة الروح الجسد. وهذا موضوع بحث فيه الإمام ابن القيم في كتابه الروح لمن أراد أن يطلع. وقد ذكر الشيخ ابن باز رحمه الله أن الحياة نوعا: حياة روح وحركة مثل الإنسان والحيوان والجن وحياة نمو فقط مثل النباتات وهي ليس لها خصائص حياة الروح مثل السمع والبصر والحركة. أنظر الرابط أول التعليق.

ولهذا فإن الإدعاء بأن نماذج الذكاء الإصطناعي العام سيكون لها وعي وإدراك بمعنى القدرة على الإحساس والاستقلال بذاتها كما هو معروف من خصائص الروح هو أمر ينافي عقيدة المسلمين. القدرات المعرفية الخارقة المجردة من الإحساس لا تلزم الوعي والإدراك. فالحاسب الإلي له قدرة كبيرة لحفظ ومعالجة وتحليل كميات كبيرة من البيانات وتزداد هذه القدرة مع زيادة القدرة الحاسوبية والتخزينية. ولكن هذا لا يجعل الحاسب واعي أو مدرك.

المصادر